مقدمة فى
تاريخ الحضارة الرومانية واليونانية
١ـ تاريخ اليونان

د. ممدوح درويش مصطفى
د. ابراهـــــيم الســـايح

١٩٩٨ / ١٩٩٩

المكتب الجامعى الحديث
الأزريطة ـ الاسكندرية
ت : ٤٨٤٣٨٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

١- جغرافية اليونان

تمثل الجغرافيا العنصر المادى الذى يؤثر تأثيرا هاما فى صنع تاريخ وحضارة أى مجتمع من المجتمعات البشرية، وقد كان العامل الجغرافى عنصرا هاما من عناصر تاريخ وحضارة بلاد اليونان، حيث أسهمت البيئة والتضاريس بشكل مباشر فى صناعة أحداث التاريخ اليونانى منذ عصوره الأولى، ولا بد لدارس هذا التاريخ أن يتعرف على هذا العنصر الهام وأهميته فى التاريخ .

١- أهم ملامح التكوين الجغرافى لبلاد اليونان هو الطبيعة التضاريسية التى تشكل الجبال الجانب الرئيسى فيها، حيث أن الجبال تشغل ما يقرب من أربعة أخماس إجمالى السطح،وتمتد على هيئة سلاسل جبلية لا تكاد تخلو منها أى جهة من الجهات، كما أن الأنهار التى تخترق هذه الأراضى ليست من الأنهار الصالحة للملاحة أو الصالحة لان تكون وسائل اتصال بين هذه الأجزاء الجبلية، وقد أدت هذه العوامل إلى ظهور النزعة الانفصالية منذ بدء تاريخ اليونان، وأسهمت بالنصيب الأوفر فى ظهور دولة المدينة والمجتمعات الصغيرة الانفصالية التى انقسمت إليها البلاد.

٢- أهم السلاسل الجبلية الموجودة فى بلاد اليونان والمسئولة عن تمزيقها السياسى على هذا النحو هى :

أ - جبال جرانية (Geranea): بين كورينثة وأتيكا.

ب- جبال كراتة (Kerata): فى نفس المنطقة.

ج- جبل كيثايرون (Kithaeron): فى الممر بين كورينثة و بؤوتيا .

د- جبل هليكون (Helicon): بين بؤوتيا وفوكيس.

هـ- جبل بيندوس (pindos): بين ثيساليا وابيروس.

٣- معظم الأنهار كانت غير صالحة للملاحة، كما لم تكن صالحة أيضا كوسيلة للإتصال وذلك بسبب فترات الجفاف التي تتعرض لها في فصل الصيف وعدم استواء السطح حتى يصلح كممر برى فى فترات الجفاف،كما أن الانحدار القوى عند المنبع وإختفاء النهر تقريبا عند المصب قد اسهم فى عدم صلاحية هذه الأنهار للملاحة فيما عدا أنهار قليلة مثل نهر اخيليوس Achelous.

٤- المناطق السهلية كانت تتسم هى الأخرى بصغر المساحة، وعدم الترابط أو الامتداد الكبير، كما أن التربة فى هذه المناطق كانت تربة فقيرة قليلة الخصوبة ولم تكن صالحة لزراعة كافة المحاصيل، وقد كانت نتيجة ذلك أن عانت اليونان فقرا شديدا فى المحاصيل الزراعية، ولعل أهم الحبوب كانت أبرز أوجه النقص الذى عانى منه السكان، حيث انسحبت أثار نقص الحبوب إلى نتائج سياسية و إجتماعية خطيرة كان أهمها الحرب بين أثينا واسبرطة فى القرن الخامس ق.م، ثم حرب فيليب المقدونى فى القرن الرابع ضد أثينا، وفى كلتا الحالتين استغلت اسبرطة ثم فيليب المقدونى حاجة أثينا إلى الحبوب وخاصة القمح وتم استغلال هذا النقص كسلاح فعال ضد أثينا، مما أدى فى نهاية الأمر إلى هزيمتها فى المرتين .

٥- وجد اليونانيون فى البحر المتوسط وسواحلهم المطلة عليه عوضا عما فقدوه فى الداخل من تربة فقيرة وتضاريس صعبة وأنهار غير صالحة للملاحة، فقد كانت السواحل اليونانية على البحر المتوسط شديدة التعاريج، ما سمح بإيجاد موانىء طبيعية، كما أن بحر إيجة قد أسهم بدوره فى تجارة وملاحة اليونانين، حيث قاموا بإستخدام هذا البحر فى الملاحة والهجرة إلى الشواطىء الأخرى فى البحر المتوسط وتمكنوا من إنشاء مستعمرات خاصة بهم، أهمها تلك التى أقاموها جنوبى شبه الجزيرة الايطالية، ووصلوا كذلك إلى أسبانيا وأفريقيا وصقلية وقبرص، والساحل الغربى لأسيا الصغرى، وعمل اليونانيون أيضا بالتجارة من خلال ركوبهم البحر وقادهم النشاط التجارى إلى

معظم شواطيء وموانـيء البحـر المتوسـط وخاصـة فـى الجـانب الشرقى منـه، كمـا أن بعضا منهم قد أتخذ من القرصنة عملا لهم إلى أن تمكن الرومان من القضـاء علـى هـذه الظاهرة فى القرن الأول ق.م .

٢- مصادر دراسة التاريخ اليونانى

أ - المصادر الأثرية

وهى المخلفات الأثرية التى أسفرت عنها الحفائر والأبحاث الأثرية، ومنها المبانى والتماثيل والمقابر والمعابد وغيرها من الآثار التى تتصل بحياة الانسان أو العالم الآخر.

وأهم ما تم العثور عليه من مخلفات الحضارة اليونانية القصر الملكى المسمى قصر كنوسوس Knossos والذى يرجع العلماء تاريخه إلى القرن السادس عشر ق.م، ويمتاز بمساحته الضخمة التى يمكن نستنتج منها أنه كان مقرا للسكن الملكى ومركزا للادارة الحكومية مما يدل على تركيز السلطة فى يد البيت الحاكم، كما يدل القصر على حالة الرخاء والاستقرار التى كانت تسود فى جزيرة كريت .

وهناك أيضا معبد البارثينون فى الأكروبوليس Acropolis فى أثينا والذى تدل الرسومات والنحت البارز الموجود به على معتقدات اليونانيين الأسطورية، كما يعكس بناؤه حالة الرخاء التى عاشتها أثينا فى هذه الفترة من تاريخها (القرن الخامس ق.م) ورغم أهمية المبانى المعمارية فى التاريخ، إلا أن العملة والفخار تعد أكثر أهمية فى هذا المجال، حيث أن العملة تسجل عليها أسماء الحكام وتواريخ حكمهم، ويمكن عن طريق المادة المصنوعة منها أن نحدد الوضع الاقتصادى للعصر الذى استخدمت فيه، أما الفخار فهو يحدد لنا معالم الحياة اليومية فى المجتمع، والأدوات المستخدمة فيه، وتصور على الأوانى مظاهر الحياة اليومية من أساطير وأنشطة يومية وملاحة وصيد ورياضة وغيرها، بالاضافة إلى أن أماكن العثور على الأوانى الفخارية يؤدى إلى معرفة الأماكن التى كانت ترتبط مع بلاد اليونان بعلاقات تجارية مثل مصر وصقلية وايطاليا وغيرها.

ب - المصادر الكتابية

المصادر الكتابية هي كتابات المؤرخين المعاصرين للأحداث التي سجلوا بها مشاهداتهم ومعارفهم عن أحوال المجتمع اليوناني في عصورهم أو العصور السابقة عليهم، وتنقسم الكتابات التي نعتمد عليها إلى عدة أنواع هي :-

المؤرخون

وأهم المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ بلاد اليونان " هيرودوت " Herdotus وهو مؤرخ ينتمي إلى القرن الخامس ق.م، وقد حاول أن يكتب تاريخا يضم كل أخبار العالم كما يعرفها، وفيه جزء خاص ببلاد اليونان، وامتاز هيرودوت في مؤلفه هذا بوصف الأحداث دون اللجوء إلى التحليل، كما أن اعتماده على الروايات المتواترة يجعل احتمالية حدوث الخطأ أمرا واردا .

وهناك أيضا " ثوكيديديس" Thucydides الذي عاش في منتصف القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م، وامتاز بتخصيص كتاباته للحروب التي نشبت بين أثينا واسبرطة والمعروفة بالحروب البلوبونيزية، وقد كان معاصرا لهذا الحدث، بل واشترك في الحرب بنفسه كقائد من القادة الأثينيين، وامتاز كذلك بالتجرد والحياد في تناول الأحداث، ويعد بذلك أول من كتب التاريخ مستخدما المنهج العلمي التحليلي .

ومن المؤرخين الذين ظهروا في هذه الفترة أيضا " اكسينوفون" Xenophon وله عدة مؤلفات عن تاريخ ونظم بلاد اليونان، ويمتاز بتعدد الموضوعات التي يتناولها ومعاصرته للأحداث واشتراكه في البعض منها، إلا أنه كان أقل قدرة على التحليل من ثوكيديديس.

الخطباء السياسيون

إلى جانب المؤرخين يوجد نوع آخر من المصادر الكتابية للتاريخ اليوناني، وهي الخطب التي كانت تلقى أمام المجالس الشعبية والهيئات السياسية والقضائية، والتي يمكن عن طريقها التعرف على العلاقات الاجتماعية والسياسية في المجتمع اليوناني، وأشهرها خطب " بركليس" و "ديموسثينيس" في القرنين الخامس والرابع ق. إلا أن هذه الخطب يجب تناولها بشيء من الحذر حيث أنها تمثل وجهة نظر واحدة ولابد أن تكون بعيدة عن التجرد والحياد .

الفلاسفة والمفكرون

تعد أعمال الفلاسفة مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو والجماعات الفلسفية والفكرية الأخرى مثل السوفسطائيون وعلماء الفلك والطب والرياضيات من مصادر دراسة التاريخ اليوناني الكتابية، حيث أننا نقيس بها الانجازات العلمية التي تم تحقيقها في هذه الفترة من التاريخ في المجتمع اليوناني .

الأدب

يعد الأدب بصوره المختلفة مصدرا غير مباشر من المصادر الكتابية للتاريخ اليوناني، وينقسم الأدب إلى عدة أنواع منها شعر الملاحم والشعر الغنائي والمسرحي، ولعل المسرح هو أهم ما يمكن الاعتماد عليه في التعرف على أفكار ومعتقدات المجتمع اليوناني، حيث أن الأفكار التي كانت تتناولها المسرحيات والشخصيات التي كانت تقدمها، كانت تعبر بطبيعة الحال عن المجتمع الأثيني في هذه الفترة، وهي إن شابها بعض المبالغات أو الخيال صالحة لأن تكون مؤشرا لأحداث المجتمع وعاداته وثقافاته

وافكاره، كما أن شعر الملاحم وخاصة أعمال هوميروس " الإلياذة والأوديسية " والتى تدور حول حرب طروادة تعد تراثا شعبيا يمكن الاعتماد عليه، ليس فقط فى التأريخ للأحداث التى ساقها الشاعر فى ملحمتيه، ولكن فى معرفة اتجاهات التفكير لدى الشعب اليونانى والتراث الاسطورى الذى يستمد منه تاريخه وعقائده، ووصف للحياة اليومية لهذا المجتمع .

٣- اليونان فى العصور المبكرة

الحضارة الكريتية

وتمثل هذه المرحلة العصر المبكر من عصور التاريخ اليونانى،ويطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى جزيرة كريت التى كانت أقوى مراكز هذه الحضارة،وقد بدأت بشائر هذه الحضارة بالقرب من بحر إيجة بداية من العصر الحجرى الحديث وازدهرت نحو القرن الثلاثين ق.م، حين بدأ السكان يعرفون استخدام المعادن، وبدأ تأثير هذه الحضارة على بلاد اليونان حوالى القرن السادس عشر ق.م.

وقد كانت أهم مظاهر هذه الحضارة تتمثل فى إزدهار الفن المعمارى وفن صناعة الأوانى الفخارية والخزف، كما عرف أهل كريت الكتابة على شكل صور ثم خطوط، كما شهدت هذه الحضارة تقدما فى الفكر والسياسة بحيث صار هناك شكلاً لدولة مترابطة لها ملوك وجيوش وأساطيل استطاعت أن تسيطر على بحر إيجة والجزر الموجودة به، كما عرف السكان هناك الجوانب الترفيهية للحياة مثل المسرح والمصارعة، كما تقدمت الكتابة، وتوصل السكان إلى معرفة العملة المعدنية لتسهيل معاملاتهم المالية .

وقد أثبتت الحفائر الأثرية وجود علاقات خارجية وإتصالات وتفاعل حضارى بين هذه الحضارة وحضارات الشرق الأخرى، حيث تم العثور على أحد الأوانى الكريتية فى مصر، كما عثر أيضا على تمثال حجرى لشخص مصرى فى أحد قصور كنوسوس مما يدل على وجود علاقات مبكرة بين مصر وكريت فى عصر الأسرة الثامنة عشرة فى عهد تحتمس الثالث.

هذا ويقسم العلماء هذه الحضارة إلى ثلاثة عصور رئيسية على النحو التالى :

- العصر المبكر ٢٦٠٠ ق.م - ١٨٠٠ ق.م
- العصر المتوسط ١٨٠٠ ق.م - ١٦٠٠ ق.م
- العصر المتأخر ١٦٠٠ ق.م - ١٢٠٠ ق.م

الحضارة الموكينية

تمتاز هذه الحضارة بانها قد ظهرت فى بلاد اليونان الأصلية، كما أنها قد أتت بعد الحضارة الكريتية، حيث أنها قد بدأت حوالى القرن السادس عشر ق.م وتأثرت بالطبع بهذه الحضارة تأثرا كبيرا.

وقد بدأت هذه الحضارة فى مدينة موكيناى شمال شرق شبه جزيرة البلوبونيز وهى مدينة تقع على تل مرتفع عن سطح الأرض بنحو تسعمائة متر، وتسيطر على سهل أرجوس، وتتوفر لها المياة اللازمة للزراعة، أى انها كانت صالحة إقتصاديا وجغرافيا لظهور حضارة فيها . وقد استمرت هذه الحضارة واقعة تحت تأثير حضارة كريت لمدة قرنين من الزمان وحتى ١٤٠٠ ق.م، وخلال هذه الفترة سيطرت التأثيرات الموكينية على موكيناى والمدن اليونانية الأخرى فى الصناعات الفخارية والمعدنية كما يبدو من المخلفات الأثرية التى ترجع لهذه الفترة، إلا أنه منذ القرن الرابع عشر ق.م يبدأ تدهور بطيء فى حضارة كريت يواكبه تطور واوزدهار فى حضارة موكيناى وتكوين شخصيتها المستقلة، ولعل أهم مظاهر ذلك التحول تبدو من ظهور طابع جديد للمقابر الموكينية بعيدا عن الطراز الكريتى، كما أن زخرفة الأوانى بدأت هى الأخرى فى الابتعاد عن المؤثرات الكريتية، وبدأ تصوير الشخصيات عليها، كما ظهرت أشكال جديدة للدروع والسيوف والحراب .

إلى جانب ذلك، فقد شهدت هذه الفترة نمو القدرة العسكرية والسياسية لهذه الحضارة، وبدأت فى بسط سيطرتها على المدن المجاورة، كما بدأ ظهور علاقات لها بالدول والقوى الخارجية، ولعل الدليل على سيطرة موكيناى على بلاد اليونان يمكن

استخلاصه من قصة حرب طروادة كما أوردتها الإلياذة، حيث أن ملك موكيناى قد تمكن من جمع كل المدن اليونانية تحت قيادته لعملية حصار طروادة، بالاضافة إلى وجود الطرق التى تربط بين موكيناى وسائر البلاد اليونانية الأخرى فى بلاد اليونان، وانتشار حضارتها فى تلك البلاد يعد دليلا آخر على سيطرة موكيناى الداخلية فى هذه الفترة .

أما من الناحية الخارجية فقد تم العثور على آثار تؤكد وصول النفوذ الموكينى حتى صقلية وايطاليا ومصر وقبرص والعلاقات السياسية مع الحيثيين . وقد بدأ التدهور فى حضارة موكيناى فى القرن الثانى عشر ق.م واستمر حتى القرن الحادى عشر حين بدأت القبائل الدورية القادمة من الشمال فى تحطيم الحضارة الموكينية وبقايا الحضارة الكريتية، واستمر الغزو الدورى حتى القرن العاشر ق.م وأسفر عن تدمير انجازات الحضارتين السابقتين عليه وإنتقال السيطرة فى بحر إيجة إلى الفينقيين وعاد المجتمع اليونانى إلى حياة القبائل الانفصالية حتى القرن الثامن ق.م ٣٠ .

اليونان فى عصر هوميروس

تطلق على حضارة اليونان فى العصر الموكينى تسمية " حضارة عصر الأبطال"، وذلك نسبة إلى الأبطال الذين خلدهم هوميروس فى ملحمتى "الإلياذة والأوديسية"، ويعد هوميروس هو المصدر الأدبى الوحيد لحضارة هذ الفترة .

وأهم ملامح هذه الفترة هو ما ذكره هوميروس من أن أجاممنون أعظم ملوك اليونان فى مطلع تاريخهم، قد قام بجمع جيش كبير وأبحر نحو طروادة الواقعة فى آسيا الصغرى عند مدخل البحر الأسود بغرض شن حرب انتقامية ضدها .

ويتفق العلماء على أن هوميروس كان شاعرا أعمى يقوم بقرض الشعر وإنشاده فى قصور الملوك والنبلاء، وكانت ملحمته الأولى "الإلياذة" تدور حول غضب "إخيليوس" أحد أعظم المحاربين فى بلاد اليونان،وذلك أثر خلافه مع أجاممنون القائد العام لجيوش اليونان فى حرب طروادة، وكان هذا الخلاف فى العام العاشر من حصار طروادة، ذلك الحصار الذى تم بغرض اسقاط المدينة واستعادة هيلين زوجة منيلاوس ملك اسبرطة وشقيق أجاممنون، وكانت الزوجة قد فرت هاربة من بلادها مع باريس ابن ملك طروادة .

وقد جعل هوميروس من قصة غضب اخيليوس محورا لأحداث الملحمة، وقص من خلالها قصة وتفاصيل الحرب وما سبقها وما تلاها من أحداث، وتعرض أيضا لأحوال اليونانيين والطرواديين .

أما الملحمة الأخرى "الأوديسية" فانها تدور حول عودة أوديسيوس أحد أبطال اليونان إلى بلادة بعد انتهاء الحرب، وذلك من خلال ثلاث مراحل، أولها يدور فى قصر أوديسيوس فى إيثاكا، حيث كان الأمراء طامعين فى ملكه وزوجته بينلوبى بعد اعتقادهم

بأنه قد قتل ولن يعود، والمرحلة الثانية تصور وقوع أوديسيوس فـي الأسر فـي جزيرة اوجيجية ثم وساطة أثينا له حتى يعفو عنه زيوس ويساعده فى الخروج من الأسر، ومـا تعرض له من أخطار وأهوال فى رحلة العودة، أما المرحلـة الثالثـة فتدور فـى قصر أوديسيوس فى ايثاكا مرة أخرى بعد عودته وقتاله مـع الأمـراء الطـامعين فى ملكه وزوجته .

الوضع السياسى فى عصر هوميروس

يدل إطلاق هوميروس اسم "الأخيون" على كل اليونانيين، أن القبائل الأخية كانت اقوى الفئات الموجودة فى ذلك الوقت، وكان الآخيون يسكنون شبه جزيرة البلوبونـيز، وانتشـروا أيضـا فـى ثيسـاليا، وصـاروا الطبقـة الحاكمـة فـى البـلاد حوالى القرن الثالث عشر ق.م ونشروا اللغة اليونانية والديانة والآلهـة الخاصـة بهم بين سائر السكان.

الوضع الاقتصادى

أهم الأنشطة الاقتصاديـة التـى سـادت بـلاد اليونـان فـى هـذه الفـترة كـانت الزراعة والرعى، وكان الكروم والحبوب هى أهم الحاصلات الزراعية، وحيـث كانت الأرض الصالحة للزراعة والمراعى لا تزيد عن خمس مساحة البلاد على أكثر تقدير، فقد ظهرت أنشـطة اقتصاديـة أخـرى أهمهـا قطـع الأخشـاب وصـيد الحيوانات وصيد الأسماك .

إلى جانب ذلك كان هناك نشاط تجارى داخلى بين المدن اليونانية وخارجى مع البلاد الواقعة على شواطىء البحر المتوسط، وقد استورد اليونانيون فى هذه

الفترة الأغمشة وأدوات الصناعة الذهبية والأواني الفخارية والسلال المصنوعة من الفضة والأدوات العاجية والبرونز وكذلك الرقيق. وقامت صناعة المنسوجات والمعادن والأخشاب والأواني الفخارية والسفن والمعادن والجلود.

نظام الحكم

كان النظام الملكي هو السائد في عصر هوميروس،وإلى جانب الملك كان هناك مجلس الشيوخ الذي يمثل المجلس الاستشاري للملك، وكان يتكون من رؤساء العشائر، وكان هناك أيضا مجلس العامة، وكان يتكون من سكان المدينة والذين يمثلون جنودها في نفس الوقت، ولم يكن لهذا المجلس أية سلطات، ولكنه كان يجتمع لمجرد الاستماع لقرارت الملك بعد مشورة مجلس الشيوخ.

وكان الملك يتمتع بصلاحيات سياسية ودينية وعسكرية مطلقة، وكان الارستقراطيون في هذه الفترة قد بدأوا في الشعور بقوتهم وأخذوا في توجيه الضربات للنظام الملكي سعيا للحصول على السلطة. ورغم أن دولة المدينة لم تكن قد ظهرت بالمفهوم السياسي في ذلك الوقت، فان الشعور الاقليمي كان يسود البلاد، ولم يكن هناك ما يؤدى إلى الاندماج السياسي بين سائر المدن على الرغم من وجود النزعة الوطنية والتراث المشترك بين الاغريق .

٥- الهجرات والاستيطان خارج بلاد اليونان

كانت العوامل الجغرافية والاقتصادية سببا فى لجوء سكان اليونان إلى الهجرة خارج بلادهم سعيا وراء الرزق الذى لم يكن متوفرا بالقدر الكافى لهؤلاء السكان، وقد شهدت العصور التاريخية لبلاد اليونان العديد من حلقات الهجرة والاستيطان الخارجى.

وقد كانت أهم الهجرات هى تلك التى حدثت فى أعقاب النزو الدورى لبلاد اليونان في القرن الحادى عشر ق.م، وتنقسم هذه الهجرات إلى ثلاث مراحل على النحو التالى:

المرحلة الأولى

١- الأيوليون

وهم سكان شمال اليونان الذين تركوا بلادهم بسبب غزو الثيساليين والذين كانوا إحدى القبائل الدروية،وقد توجه الايوليون عبر بحر إيجة نحو الشاطىء الأسيوى،واستقروا فى آسيا الصغرى تحت اسم " ايوليا"

٢- الأيونيون

وقد عبروا بحر إيحة ثم وصلوا إلى آسيا الصغرى، واستقروا جنوب منطقة ايوليا،وسميت منطقتهم باسم "ايونيا"

٣- الدوريون

وقد هاجروا بدورهم إلى آسيا الصغرى واحتلوا المنطقة الواقعة جنوب ايونيا،وسميت تلك المنطقة باسم "دوريس".

المرحلة الثانية

المرحلة الثانية من هجرات اليونانيين تمت في القرن الثامن وحتى القرن السادس ق.م، وقد كانت أهم العوامل التى أدت إلى هذه الهجرات هى :

١- الحكم الارستقراطى أو الاستبدادى الذى مارسه ضد باقى الطبقات.
٢- انقسام طبقة النبلاء ذاتها على نفسها بسبب استئثار أقلية منها بالسلطة وكافة الامتيازات.
٣- ازدياد عدد السكان مع نقص الموارد الزراعية، واستيلاء الارستقراطين على معظم الاراضى الزراعية.
٤- ظهور التجارة كأحد الانشطة الرئيسية، والحاجة إلى البحث عن المواد الخام والاسواق خارج الحدود.

هذا وقد نجح اليونانيين فى حركة الهجرة والاستيطان الخارجى، وساعدهم على ذلك الفراغ السياسى فى منطقة بحر ايجة والبحر المتوسط بعد سقوط الاشوريين وتدهور الامبراطورية المصرية، وعدم ظهور الفرس كقوة كبرى حتى ذلك الوقت.

وهذا بالاضافة إلى التقدم الكبير الذى أحرزه اليونانيون فى مجال صناعة السفن، حيث ساعدهم ذلك على الهجرات والتقدم التجارى فى البحر المتوسط.

انشاء المستعمرات

كانت هناك نظم وقواعد تحكم مسألة انشاء المستعمرات خارج الحدود، وكان هذا الأمر يجد معاونة من الحكومات اليونانية حتى تتخلص من احتمالات الثورة، ولهذا السبب قامت الحكومات بتشجيع الهجرة وتنظيمها، وكان هناك مرشد يتم ارساله مع كل مجموعة من رجال الدين والمهندسين إلى المستعمرة، كما كان يتم وضع تخطيط للمدينة الجديدة وتقسيم لاراضيها على السكان الجدد.

وكان الموقع الخاص بالمستعمرة يتم اختياره على أسس وشروط خاصة، بحيث يكون الموقع يتميز بالثراء أو التحكم في الطرق التجارية أو كمنفذ بحرى أو ميناء.

أما سكان المستعمرات فقد كانوا خليطا من كافة الطبقات، مع استئثار الطبقة الارستقراطية بمجموعة المؤسسين.

وكان من الضرورى أن يقوم مؤسسو المستعمرة بإستشارة كهنة الاله أبوللو فى اختيار الموقع، وكان هذا الاله يعد راعيا لهذه المستعمرات الجديدة. أما فيما يتعلق بالدستور والقانون، فانه كان فى الغالب مشتق من دستور وقانون المدينة الأم.

وقد كان المهاجرون حريصين على عدم قطع صلاتهم بالمدينة الأم والوطن الأصلى، حيث حافظوا فى وطنهم الجديد على نمط المدينة الاغريقية، كما كانوا يرسلون وفدا يمثلهم فى الأعياد الدينية. ولا يمنع هذا وجود تدهور فى العلاقات بين المستعمرات والوطن الأصلى فى بعض الأحيان، وخاصة حين تتدخل المدينة الأم فى شئون المستعمرة أكثر مما ينبغى.

نتائج حركة الاستيطان

١- تنمية الروح القومية لدى الاغريق بسبب احتككاهم بالأمم الأجنبية.

٢- التطور السياسي والديمقراطي في المجتمعات الجديدة.

٣- ازدهار الآداب والفنون والفلسفة.

٤- اتساع حركة التجارة وظهور تغييرات اجتماعية واسعة النطاق.

٥- دخول بلاد اليونان دائرة الاقتصاد النقدي بسبب التوسع التجاري.

٦- ظهور طبقة التجار والحرفيين وصراعها على السلطة مع الطبقة الارستقراطية.

٦- دولة المدينة

بعد انهيار الحضارة الموكينية مع مطلع القرن العاشر ق.م وسيادة العنصر الدروى ساد التخلف والانهيار بلاد اليونان لمدة ٢٠٠ سنة تقريبا، وشهدت هذه الفترة امتزاج العناصر الجديدة بالسكان القدامى مما أدى إلى ظهور مجتمع جديد كانت أهم معالمه دولة المدينة.

وقد امتاز هذ المجتمع بوجود كيانات سياسية مستقلة ومقومات الدولة وذلك فى كل مدينة من مدن بلاد اليونان وما يحيط بها من امتداد جغرافى يتفاوت من منطقة إلى أخرى، وقد عرفت هذه الجماعات اشكالا سياسية تدرجت من القبائل إلى الملكية حتى وصلت إلى مرحلة الحكم الشعبى والمجالس النيابية.

وقد ساعد المجتمع اليونانى على الوصول إلى هذه المرحلة أن هذه الفترة التى ازدهرت فيها مجموعة من الامبراطوريات والممالك القوية مثل الحيثيين والفرس والمصريين والاشوريين لم تتجه أطماعهم إلى بلاد اليونان ولم يحاول أى منهم أن يقوم بمد سلطانه إليهم، ولذلك كانت الفرصة متاحة أمام المجتمع اليونانى للنمو السياسى المستقل الذى أسفر عن ظهور دولة الدينة والنظم السياسية والنيابية التى اتبعت فيها.

وجدير بالذكر أن نظام دولة المدينة هذا لم يظهر هكذا مرحلة واحدة، ولكنه مر بعدة مراحل حتى تبلور فى شكله النهائى الذى سوف نتعرف عليه، وقد بدأ هذا النظام أولى مراحله فى القرن العاشر والقرن التاسع ق.م حيث اختلط الغزاة الدوريون بالسكان الاصليين ليكونوا المجتمع الجديد، وكان هذا المجتمع عبارة عن مجتمعات ذات طبيعة قبلية، تتكون من كبار ملاك الأراضى الزراعية والرعوية حيث يمثل أكبر هؤلاء الملاك دور الملك Basileus، بالاضافة إلى وجود مجلس الأعيان ورؤساء العشائر، ومجلس آخر للعامة من سائر السكان، وكان الملك فى هذه الفترة يتحم فى كافة الأمور السياسية

والعسكرية والدينية، بينما يشاركه مجلس الارستقراطيين فى صلاحياته حسب قوة الملك وحسب شخصيته بينما لم يكن لمجلس العامة صلاحيات أو تأثير يذكر.

ويمكن أن نتصور الدور الرئيسى الذى لعبه الملك فى هذ الفترة فى اطار حرص الملك على تجميع وتوحيد التجمعات اللسكانية المجاورة له فى كيان سياسى واحد يسيطر عليه هو ورجاله عليه، ولعل هذا النوع من التفاعل كان يتم بشتى السبل، احيانا بالسلم وأحيانا بالقوة، بحيث صار الملك القادر على توحيد المناطق المجاورة له ملكا على المدينة بأسرها وعلى التابعيين لها من المناطق المجاورة، ويعد هذا الأمر هو الانجاز الأساسى الذى يمكن ارجاعه إلى فترة الملكية وإلى أحداث القرنين العاشر والتاسع ق.م، حتى تحولت المجتمعات السكانية إلى وحدات سياسية مترابطة، وظهرت لأول مرة كلمة Agora بمعنى السوق الذى لا يستخدم فى التجارة فحسب وانما أيضا فى مناقشة أمور المدينة وسياساتها حيث يتجمع السكان Demos أو الشعب لمناقشة أمور مدينتهم.

استمر الوضع على هذا النحو حتى مطلع القرن الثامن ق.م، ذلك القرن الذى شهد مرحلة التطور بالنسبة لنظام دولة المدينة، حيث أنتهى فى هذه الفترة دور الملوك بعد أن قاموا بتوحيد التجمعات السكانية وظهرت فى عهدهم ملامح دولة المدينة كنظام سياسى جديد، وبدأ العنصر الاقتصادى يحكم الأمور فى هذا العالم الجديد، حيث بدأ الارستقراطيون الذين يملكون الأرض والثروة فى التطلع لدور جديد يلعبونه فى هذا المجتمع، وبدأوا فى انتزاع سلطات الملك الواحدة تلو الأخرى، فقد رأوا أن الملك لا يمتاز عنهم فى شىء، فهو صاحب أرض وثروة وهم أيضا أصحاب أرض وثروة،وان كانت الأرض والثروة هى التى تمنح الملك شرعيةالحكم، فانهم بمقتضاها أيضا يمكن أن يزحفوا على سلطات الملك ويسلبونه اياها، وهكذا بدأ الارستقراطيون فى الاستيلاء على مقاليد الحكم واستمر هذا الوضع حتى القرن السابع ق.م، حيث سقطت معظم الحكومات الملكية فى شتى أنحاء البلاد وحلت محلها حكومات جماعية تتكون من الارستقراطيين، واعتمد الارستقراطيون فى حكمهم على الأساس الاقتصادى فى المقام الأول، حيث كانوا يملكون الثروة ومصادرها كما اعتمدوا أيضا على قدرتهم العسكرية فى الدفاع عن المدينة أو شن الغارات العسكرية على المدن المجاورة، وكانت الأوضاع آنذاك- فى

ظل غياب الجيش النظامي- تحتم على المقاتل أن يقوم بكافة التكاليف الخاصة بالتسليح وخلافه، وكان الارستقراطيون هم القادرون على هذا الأمر بالنسبة لأنفسهم ولأتباعهم ولهذا كانت مهمة القتال خاصة بهم،، وهم الذين يتحملون نفقاتها وتبعاتها.

وإلى جانب العاملين الاقتصادى والعسكرى، فقد استمد الارستقراطيون شرعية حكمهم أيضا من الجانب القانونى أو الدستورى، حيث أن فترة الحكم الملكى كانت قائمة على الحق الالهى ولم تكن ثمة قوانين تخول للملك حكم المجتمع وبعد انهيار الملكية اختلفت الأمور، حيث صارت الطبقة الطبقة الارستقراطية تحكم البلاد من خلال المجلس التشريعى الارستقراطى وهو هيئة يتم انتخابها سنويا من هذه الطبقة، كما أن النزاعات المختلفة قد انتقلت من أيدى رؤساء العشائر والقبائل إلى المحاكم ليتم الفصل فيها من خلال القوانين التى وضعتها الطبقة الارستقراطية.

وحين اتم الارستقراطيون إحكام قبضتهم على البلاد، كانت هناك ظاهرة جديدة فى المجتمع اليونانى، حيث ضاقت الأرض والموادر بالسكان فاتجه جزء كبير من السكان إلى الهجرة للبحث عن موارد جديدة، وشكلت حركة الهجرة هذه مرحلة جديدة وهامة من مراحل تطور المجتمع اليونانى، وأسفرت عن تكوين مستعمرات يونانية على ساحل البحر المتوسط وظهور التجارة كأحد الأنشطة الاقتصادية الرئيسية للمجتمع اليونانى، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى ظهور التجار كطبقة جديدة متميزة فى المجتمع، وشهد القرن السادس ق.م بداية محاولات هذه الطبقة التى صارت لا تفتقر إلى الثروة للمشاركة فى الحكم تأمينا لمصالحها واثباتا لوجودها، وهكذا ظهرت حكومات جديدة مشتركة من تحالف الارستقراطيين والتجار وهى الحكومات التى يطلق عليها اسم الحكومات الاوليجركية Oligarchy أو حكومات الأقلية.

ولم يكن هذا التطور، الذى كان العامل الاقتصادى هو الدافع الرئيسى له هو التطور الأخير فى نظام الحكم فى دولة الدينة، إذ أن التجارة التى أدت لظهور طبقة جديدة من الأثرياء تمكنت من المشاركة فى الحكم، هى نفسها التى أدت إلى تخليص قطاع كبير من الشعب من سيطرة الاقطاعيين وملاك الأراضى على أرزاقهم، فسرعان

ما تخلص هؤلاء من العمل فى الأراضى الزراعية الخاصة بالارستقراطيين، وبدأوا فى ممارسة الأعمال التجارية والحرف والمهن المختلفة اللازمة لامداد التجار بالسلع التجارية، كما أن عملية تأمين الطرق التجارية المختلفة والصراعات العسكرية بسبب التنافس التجارى أوجبت على المجتمع اليونانى استخدام طبقة العامة كمقاتلين لتأمين خطوط القوافل.

من هنا بدأ العامة فى الشعور بكيانهم وأهميتهم، وبدأوا فى البحث عن دور سياسى يلعبونه فى المجتمع الجديد،وبدأ ظهور الثورات الشعبية فى شتى مدن اليونان فى محاولة للتخلص من الحكومات الاوليجركية القائمة، وأدى كل هذا إلى بداية مرحلة جديدة من مراحل تطور النظام السياسى اليونانى، وهى مرحلة حكم الطغاة، والطغاة هؤلاء Tyrannoi هم أشخاص من غير الطبقات الشعبية تمكنوا من استغلال الثورات الشعبية للقفز إلى الحكم على أكتاف العامة وتمكنوا من الاطاحة بالحكومات الاوليجركية، ورغم انحيازهم للعامة ومحاولة استرضائهم، ورغم تشجيعهم للنشاط الثقافى والفنى، إلا انهم لم يستمروا فى ذلك، إذ سرعان ما كان الجيل الثانى منهم يستخدم الارهاب كوسيلة للحكم مما أدى إلى انهيار نظامهم وسط السخط الشعبى العام ليحل محله الحكم الشعبى الديمقراطى.

بعد انهيار حضارة موكيناى فى القرن العاشر ق.م، شهدت بلاد اليونان فترة من التدهور والانهيار لمدة قرنين من الزمان، ولعل أهم أحداث هذه الفترة هى اختلاط السكان الدوريين بالسكان الأصليين وامتزاجهم بهم، مما أدى فى النهاية إلى تغيير فى البنية السكانية والاجتماعية فى البلاد، وقد أسفرت كل هذه التغيرات عن صورة جديدة للنظام السياسى اليونانى، تلك هى دولة المدينة، فقد أصبح المجتمع اليونانى منقسما إلى مجموعة من المدن كل منها وحدة سياسية مستقلة مركزها احدى المدن، وامتدادها مجموعة من القرى والضواحى. ولعل أهم العوامل التى أدت إلى وجود هذا النظام هو العامل الجغرافى، فقد كانت بلاد اليونان كما سبق ووضحنا تعانى من وعورة التضاريس بشكل كان يمنع توحيد البلاد جغرافيا، وقد أدى ذلك دون شك إلى ظهور نظام دولة المدينة نظرا للعزلة الجغرافية بين هذه المدن، وقد تطور النظام السياسى فى

دولـة المدينـة بشـكل طبيعـى، حيث بـدأ بسـيطرة زُعمـاء القبـائل، ثـم الحكـم الملكـى، الارستقراطى، الاوليجركى، ثم تطور بعد ذلك إلى الحكم الشعبى الديمقراطى، وقد أسفر التطور التاريخى لنظام دولة المدينة فـى بـلاد اليونـان إلـى ظهـور مجموعـة مـن المـدن القوية التى سعت إلى بسط زعامتها على بـاقى أجـزاء البـلاد، وأهـم وأقـوى هـذه المـدن كانت أثينا واسبرطة، ولذا سوف نخصص هذا الجزء من لدراسة نظام دولة المدينـة فـى كل منهما.

دولة المدينة فى أثينا

تميزت أثينا على سائر بلاد اليونان فى تلك الفترة بتنوع المـوارد الاقتصاديـة التـى يعتمـد عليهـا المجتمـع، فقـد مـارس السـكان الزراعـة والتجـارة والحـرف والصناعـات الصغيرة، وقد أدى هذا التوازن فى الموارد إلى توازن آخر من الناحية الطبقية بحيث لـم يشـهد هـذا المجتمـع سـطوة لاحـدى الطبقـات نتيجـة لاسـتئثارها بمـوارد المجتمـع أو مستلزمات الانتاج، وقـد أدى هـذا التـوازن الطبقـى فـى نهايـة الأمـر إلـى ظهـور الحكـم الشعبى الديمقراطى الذى يمثل مصالح كافة الطبقات بشكل متوازن، وإن كانت أثينا قـد شهدت دون باقى مدن اليونان هذا النظام الديمقراطى السببى الفريد، فإن هـذا النظـام لـم يحدث هكذا بلا مقدمات، ولكن شهد المجتمع اليونانى عدة تطـورات أسـفرت فـى نهايـة الأمر عن النظام الشعبى الديمقراطى.

بدأ التطور السياسى فى المجتمع الأثينى بظهـور النظـام الملكـى، حيث تمكـن أحـد الملوك من أن يوحد المجتمعات السكانية القبلية فى مجتمـع واحـد تحـت قيادتـه، وينسـب ذلـك إلـى ملـك يسـمى ثيسـيوس Theseus ، وتركـزت السـلطات السياسـية والعسـكرية والدينية فى هذه الفترة فى يد الملك، وكان يعاونه مجلس من الطبقة الارستقراطية، ولـم يستمر هـذا الوضـع طويـلا. إذ سرعان مـا استولى الارسـتقراطيون عـلـى صلاحيـات وسلطات الملوك الواحدة تلو الأخرى حتى انتقل الحكـم اليهـم، وأصبـح النظـام السياسـى

ممثلا فى مجموعة من الوظائف التى يشغلها أعضاء الطبقة الارستقراطية،وتمثلت هذه الوظائف فى منصب الحاكم Archon، وهو رئيس الجهاز التنفيذى، ومنصب البوليمارخوس Polimarchos وهو المشرف على الشئون العسكرية،هذا إلى جانب مجلس تشريعى كل أعضائه من الارستقرطيين وهو مجلس الاريوباجوسAreopagos

وقد اتسمت هذه الفترة من تاريخ المجتمع الأثينى بالتسلط الشديد من جانب الطبقة الارستقراطية سعيا لتحقيق مصالحها دون النظر لمصالح الطبقات الأخرى، وأثار هذا السلوك سخطا شديدا فى صفوف الطبقات الأخرى، فلجأ الحكام إلى سن مجموعة من القوانين - قوانين دراكون- لامتصاص سخط العامة، إلا أن هذه القوانين لم تكن قادرة على تغطية كافة أوجه القصور فى المجتمع، واتسمت هذه القوانين بالقسوة الشديدة تجاه العامة مما أدى إلى وصولهم إلى درجة بالغة السوء، وتم بيع البعض منهم كرقيق وفاء لديونهم، بينما لجأ البعض الأخر إلى الفرار من أتيكا بأكملها للنجاة من هذا المصير.

وشهد المجتمع اليونانى فى هذه الفترة تطورا آخر، وهو اتجاه المجتمع إلى النشاط التجارى، مما أدى إلى ظهور طبقة جديدة هى طبقة التجار، واستطاعت هذه الطبقة أن تنافس الطبقة الارستقراطية على السلطة والحكم، وفى هذه الفترة ظهر "سولون" الذى قام بوضع تشريعات تنسب اليه، حاول فيها التوفيق بين المصالح المتضاربه بين طبقات المجتمع حتى يمنع الانفجار الوشيك بسبب سيطرة الطبقة الارستقراطية على كل شىء، والحنق الذى أصاب طبقة التجار والعامة.

ويمكن ايجاز تشريعات سولون فى أنه قام بالغاء الارتباط الطبقى بملكية الأرض، حيث أنه قسم المجتمع الأثينى إلى أربع طبقات بمقتضى ما يملك الفرد من الثروة وبصرف النظر عن مصدر هذه الثروة سواء كانت من الأرض أو

من التجارة أو غير ذلك، وقد أدى هذا التقسيم الجديد إلى اشترك طبقة التجار فى الجهاز التنفيذى للدولة، وكذلك عضوية مجلس الاريوباجوس، كل حسب ثروته، وانهى بذلك احتكار الطبقة الارستقراطية لكافة السلطات.

بالاضافة لذلك استحدث سولون مجلسا جديدا هو مجلس البولى Boule يتكون من ٤٠٠ عضو وتقتصر عضويته على الطبقات الثلاث الأولى من المجتمع الأثينى،وبالاضافة إلى ذلك فقد تضمنت تشريعات سولون قسما خاصا بعلاج مشاكل طبقة العامة وقد كان أهم ما تضمنته هذه التشريعات هو الغاء ديون هذه الطبقة والنتائج المترتبة عليها، كما أقرت هذه التشريعات أيضا اشتراك هذه الطبقة فى مناقشات الجمعية الشعبية (مجلس الاكليزيا)، كما تم ايضا انشاء المحاكم الشعبية التى أصبح العامة أعضاء فيها، وأصبح لهذه المحاكم حق محاسبة أعضاء الهيئة التنفيذية.

عصر الطغاة

بعد الانتهاء من وضع واقرار تشريعات سولون فى القرن السادس ق.م أصبح الوضع الدستورى فى المجتمع الأثينى يتمثل فى نظام الحكم القائم على أساس الثروة ، وأصبح التجار وملاك الاراضى هم عماد النظام الجديد، ويطلق على هذه المرحلة مرحلة الحكم الاوليجركي أو حكم الأقلية، وكانت تشريعات سولون قد أرضت طبقة التجار حيث أشركتهم فى الحكم كما حققت بعض الانجازات لطبقة العامة، كلم أنها قد سلبت ملاك الأرض أو الارستقراطيين بعض امتيازاتهم، لهذا لم تلبث الأوضاع فى أثينا أن تفاقمت وانقسم المجتمع إلى ثلاث أحزاب رئيسية هى.حزب الجبل وهو حزب العامة أو الفقراء، وحزب السهل ويمثل الارستقراطيين، وحزب الساحل ويمثل التجار، وأسفر الصراع بين هذه الأحزاب عن تفوق حزب الجبل بقيادة بيزاستراتوس ونجاح ذلك

الحزب فى تولى السلطة، وأصبح بيزاستراتوس حاكما لأثينا فى منتصف القرن السادس ٥٤٥ ق.م.

وقد بدأ بحكم بيزاستراتوس عهد جديد فى أثينا يسمى بفترة حكم الطغاة والسبب فى هذه التسمية أن الحكم قد صار فرديا وبقيت المؤسسات الدستورية فى البلاد دون صلاحيات حقيقية، وإن كان هذا لا يمنع أن بيزاستراتوس قد قام بعدة خطوات اصلاحية لارضاء العامة، حيث صادر بعض أملاك الطبقة الارستقراطية وقام بتوزيعها على المعدمين من العامة، وقام بتنشيط التجارة، وشجع الفنون والأداب، وتمت فى عهده حركة عمرانية وازدهار فى المسرح.

وقد خلف بيزاستراتوس ابنه هيبياس، الذى اتجه إلى الارهاب والتسلط مما جعل الأثينيين يطلقون عليه لقب الطاغية، وقاموا بثورة ضده اسفرت عن طرده من المدينة وعودة العمل بالدستور حيث تولى كلايستنيس السلطة وقام باستكمال قوانين سولون،ووضع دستورا جديدا يقضى بتقسيم البلاد إلى قبائل تقوم على المكان مما أدى إلى القضاء على التكتلات الطائفية، وأصبح اختيار مجلس الشورى يتم بالاقتراع من هذه القبائل، وصار المجلس ممثلا حقيقيا لكافة السكان، كما تم توسيع صلاحياته لتشمل الجوانب الادارية والتنفيذية.

دولة المدينة فى اسبرطة

ارتبط ظهور المجتمع الاسبرطى بغزو القبائل الدورية التى استقرت فى شبه جزيرة البلوبونيز بعد استيلائهم على منطقة لاكونيا جنوب شبه الجزيرة، حيث أطلقوا على انفسهم اسم "اللاكيدايمونيون" ونشأت مدينة اسبرطة فى هذه المنطقة.

هذا عن نشأة المدينة، أما عن سكانها فقد اختلف شأنهم عن باقى المدن اليونانية، فقد امتازت اسبرطة بان مؤسسيها هم الغزاة الدوريون الذين لم يندمجوا مع السكان الأصليين، كما انهم ظلوا بمعزل عن أقرانهم من الغزاة الذين احتلوا المناطق الأخرى وحافظ هؤلاء الغزاة على انفصالهم عن السكان، وظلوا يمثلون طبقة حاكمة تمارس السيطرة على باقى الطبقات الأخرى وأطلقوا اسم" بيراويكوى" Perioikoi على السكان الأخرين ومعناها السكان المحيطون باسبرطة، وكان هؤلاء السكان أحرار المولد إلا انهم كانوا محرومين من الحقوق السياسية أمام سيطرة اللاكيدايمونيين.

بالاضافة إلى ذلك قام الاسبرطيون بالسيطرة على منطقة ميسينيا الواقعة غرب بلادهم والتى تمتاز بالخصوبة وحولوا سكانها إلى عبيد.

وهكذا أصبح الوضع فى اسبرطة ممثلا فى أقلية حاكمة وحولها فئات مختلفة من الأحرار والعبيد يمثلون أغلبية مغلوبة على أمرها يوحد بينها السخط والكراهية لهذ الطبقة الحاكمة.

تشريعات لوكرجوس

اعتمدت النظم الداخلية فى المجتمع الاسبرطى على تشريعات تنسب لشخص يسمى لوكرجوس Lycurgos وهى تشريعات تهدف إلى انشاء مجتمع عسكرى قوامه جيش مستعد للدفاع عن المدينة فى أية لحظة، وكان هذا النظام يقضى بأن تكون الدولة مسئولة عن الأطفال منذ لحظة ميلادهم، حيث يتم فحص المولود سواء كان ذكر أم أنثى ويتم نبذ الأطفال المشوهين أو الضعفاء بتركهم فى العراء حتى الموت أو الوقوع فى أيدى أحد العبيد، أما الأصحاء فيظلون حتى سن السابعة فى حضانة الأم أو المربية، وحين يصلون إلى سن السابعة ينتقل الإشراف عليهم إلى الدولة حيث يوضعون فى معسكرات صارمة بحيث تكون كل مجموعة من هؤلاء الأطفال تحت قيادة شاب اسبرطى، وتتم تنشأتهم على الحياة العسكرية والتدريبات الرياضية الشاقة وكانت الموسيقى على الرغم من ذلك الاتجاه الصارم تدخل ضمن المناهج التعليمية ولكن فقط لخدمة ذلك الغرض الاساسى وليس الجانب الترويحى أو الفنى، وحين يصل الأطفال إلى سن الرشد كانوا ينضمون إلى الجيش كجنود، وكانت الدولة تهتم بأمر أسرهم وتمنحهم أرضا وعبيدا حتى يكونوا فى غنى عن العمل لكسب العيش، وكان من غير المسموح به للاسبرطى أن يعمل فى أى نشاط آخر مثل التجارة أو الصناعة، وكانت هذه الانشطة حكرا على الطبقة الثانية وهى "البيراويكوى".

نظام الحكم

انقسمت السلطات فى النظام السياسى الاسبرطى بين عناصر أربعة هى :

أ – ملكان على رأس الجهاز التنفيذى.

ب – مجلس الشيوخ.

ج – المجلس الشعبى.

د – مجموعة من المشرفين.

أ– الملكان

تميز النظام الاسبرطى عن غيره من النظم السياسية الأخرى بوجود ملكين على رأس اجهزة الدولة بدلا من ملك واحد، ويرجع هذا الوضع فيما يبدو إلى أن اسبرطة كانت تضم قبيلتين أساسيتين كونتا باتحادهما هذه المدينة ، وكان من الطبيعى أن تصر كل منهما على أن يكون الملك منتميا لها، ولهذا استقر الرأى على وجود ملكين، كل منهما يمثل احدى القبيلتين، ويعد رقيبا على الآخر، مقيدا لسلطاته، وأدى هذا الوضع الفريد إلى عدم استبدادهما بالسلطة وهو الأمر الذى كان يؤدى فى المجتمعات الأخرى إلى التخلص من النظام الملكى.

وقد بدأت صلاحيات الملكية فى اسبرطة شأنها شأن المدن اليونانية الأخرى فى صورة صلاحيات عسكرية مطلقة وقضائية ودينية ولم تلبث هذه الصلاحيات أن انحسرت فى شتى المجالات حيث صارت قيادة الجيوش من حق احد الملوك فقط ويقرر الشعب أيهما الذى يتولى المهمة، ويكون الملك مسئولا عن أعماله أمام الشعب، وتراجعت أيضا الصلاحيات القضائية والدينية للملك حتى انحصرت فى مجالات قليلة.

ب - مجلس الشيوخ

وكان يتكون من ثلاثين عضوا بينهم الملكان، ولا بد أن يكون باقى الأعضاء فوق سن الستين، والعضوية مدى الحياة، ويتم الانتخاب عن طريق الصياح والتصفيق حيث يتم اختيار من يتصف بالفضيلة، وكانت صلاحيات هذا المجلس تشمل الاعداد لجداول أعمال مجلس الشعب، والفصل فى القضايا الجنائية، كما كان المجلس يتمتع بصلاحيات سياسية واسعة كهيئة استشارية، وكان المجلس قاصرا على الطبقة الارستقراطية رغم أنه كان يتم انتخابه من قبل المجلس الشعبى الذى كان يضم كافة الطبقات.

ج - المجلس الشعبى

وهو المجلس الذي كان يضم كل مواطن اسبرطى تعدى الثلاثين عاما، وكان يجتمع مرة واحدة شهريا بدعوة من المشرفين، وكانت اختصاصات هذا المجلس هى انتخاب مجلس الشيوخ وهيئة المشرفين والمجلس التنفيذى، كما كان مختصا بتقرير الحرب والسلام واقرار السياسة الخارجية والأمور الخاصة بوراثة الملوك، ولم يكن هذا المجلس يمارس الصلاحيات عن طريق المناقشة والحوار، وانما كان يتم عرض الموضوعات على الأعضاء وعليهم أن يوافقوا أو يعترضوا عن طريق الصياح أو التقسيم لمجموعة موافقة ومجموعة معارضة، وكان من القيود الموضوعة على ذلك المجلس هو حق أعضاء مجالس الشيوخ والهيئة التنفيذية فى الانسحاب من الجلسات فى حالة عدم رضاهم عن القرارات، وكان هذا الانسحاب كفيلا بابطال أى قرار يتخذه هذا المجلس.

د - المشرفون

وهو نظام انفردت به اسبرطة بين المدن اليونانية الأخرى وهؤلاء المشرفون هم خمسة أشخاص كان يتم تعيينهم فى بادىء الأمر ممثلين للقرى الخمس التي تكونت منها مدينة اسبرطة، وكانت صلاحياتهم فى بادىء الأمر قاصرة فقط على المجال القضائي، ثم تطورت لتشمل الرقابة على الملوك والمحافظة على النظام العام والنظر في قضايا السكان الأخرين حول اسبرطة "البيراويكوى"، وأصبحوا يتقلدون مناصبهم عن طريق الاقتراع العام دون التدخل من الملوك وهكذا أصبحوا يمثلون عنصرا من عناصر التوازن بين الارستقراطيين وبين العامة والعبيد.

كانت هذه هي أهم ملامح النظام السياسي في اسبرطة، وقد تميز هذا النظام كما رأينا بأنه كان أنسب النظم الطبيعة للمجتمع الذى قام به، فالملكان كان كل منهما رقيبا على الآخر مما يمنع الاستبداد من جانب أى منهما، والمجلس الارستقراطي (مجلس الشيوخ) يمثل سيطرة هذه الطبقة ولكنه لا يملك القرار الأخير فى شئون البلاد، ويملك مجلس الشعب حق اصدار القرار الأخير إلا أن ذلك لا يكون إلا بالموافقة أو الرفض ودون مناقشة من أى نوع، مع امكانية ابطال قراراته فى حالة انسحاب مجلس الشيوخ أو الهيئة التنفيذية، وهكذا نشأ نوع من التوازن السلطوى بين عناصر هذا النظام السياسي المختلفة، وقد أدى هذا إلى نجاح اسبرطة فى ايجاد مجتمع متماسك وتكوين حلف قوى والانتصار على أثينا فى صراع الزعامة على بلاد اليونان فى نهاية القرن الخامس ق.م.

أهم الاحداث الخارجية والداخلية فى عصر دولة المدينة

شهد التاريخ اليونانى مراحل عديدة لتطور نظام دولة المدينة، بدأت هذه المراحل كما رأينا بظهور المدن القوية مثل أثينا واسبرطة، ثم تطورت الأحداث بظهور عوامل وتحديات خارجية كان على هذه المدن أن تواجهها بالاضافة إلى الصراعات الداخلية بين هذه المدن حول زعامة بلاد اليونان، ومن خلال هذه المراحل تطور نظام دولة المدينة حتى انتهى الأمر بغزو فيليب المقدونى بلاد اليونان، وسوف نعرض فيما يلى أهم مراحل هذه الأحداث التى شهدتها بلاد اليونان.

أ - الحرب مع قرطاجة

نشأ الصراع بين قرطاجة وبلاد اليونان بسبب العامل الاقتصادى، حيث أن قرطاجة كانت تسيطر على غربى البحر المتوسط تجاريا وسياسيا بفضل مستعمراتها على الساحل الشمالى الأفريقى منذ القرن التاسع ق.م، وكذلك على السواحل الأوربية، كما أن انتشار المدن اليونانية جنوبى صقلية قد أدى إلى صدام المصالح بين القوتين.

وقد بدأت أولى مراحل هذا الصراع بشكل سافر سنة ٤٨٠ ق.م حين تدخلت قرطاجة بجيش ضخم لمساندة احدى المدن اليونانية فى جزيرة صقلية ضد حاكم سيراكوز كبرى مدن هذه الجزيرة، وكان حجم هذا الجيش يوحى بمحاولة قرطاجة لاحتلال هذه الجزيرة، إلا أن الحرب قد انتهت بانتصار حاكم سيراكوز وفرض تعويض كبير على قرطاجة.

ولم تلبث قرطاجة أن تدخلت مرة أخرى سنة ٤٠٩ ق.م فى نزاع آخر بين المدن اليونانية فى صقلية، وكان الهدف من التدخل هذه المرة هو غزو الجزيرة بشكل واضح، حيث بدأ الجيش القرطاجى مهمته باخضاع المدن اليونانية الواقعة جنوبى الجزيرة، وانتهى الأمر سنة ٤٠٥ ق.م بقبول حاكم سيراكوز الصلح مع قرطاجة مع سيطرتها على الجزء الأكبر من صقلية واستمر النزاع بعد ذلك إلى أن

تمكن حاكم سيراكوز من حصر السيطرة القرطاجية في الجزيرة في أقصى الغرب، وتوقف الأمر بين قرطاجة واليونان عند هذا الحد.

ب – الحرب مع الفرس

أساس العلاقة بين الفرس واليونان يرجع لوجود مستعمرات يونانية في شكل مدن تجارية تقع على الساحل الغربي لآسيا الصغرى، وكانت خاضعة لمملكة ليديا مع احتفاظها بالحكم الذاتي، وظل هذا الوضع حتى القرن السابع ق.م ومنتصف القرن السادس ق.م، حين قام الفرس بغزو مملكة ليديا سنة ٥٤٨ ق.م، وتم اخضاع المدن اليونانية لامبراطورية الفرس، وبقيت شئونها الداخلية تدار بالحكم الذاتي، كما كان الأمر تحت سيطرة ليديا.

لم تستمر هذه الأوضاع طويلا على هذا النحو، إذ سرعان ما تدخل الفرس في شئون هذه المدن ومساندة الحكم الفردي فيها، وادى ذلك إلى اثارة المدن اليونانية الأخرى ضدهم وانتهى الأمر بإنشاء حلف عسكري يضم هذه المدن بقيادة "ميليتوس"، واستطاع هذا الحلف أن يقود ثورة ضد الفرس استمرت بنجاح من ٤٩٩ إلى ٤٩٤ ق.م ثم انتهت بإعادة الفرس بسط سيطرتهم على هذه المدن وتدمير مدينة ميليتوس التي كانت زعيمة للحلف، ورغم مساندة أثينا للثوار، وهو الأمر الذي أدى بالفرس إلى التفكير في القضاء على المدن اليونانية الأوربية لمنعها من مساعدة المدن الاسيوية الواقعة تحت سيطرة الفرس.

سنة ٤٨٠ ق.م، وانتصر فيها الفرس على قوة اسبرطة وبادوها، ثم موقعة "سلاميس" حيث استطاع الاسطول الأثينى بمساعدة المدن اليونانية الأخرى من أن يلحق هزيمة ساحقة بالقوات الفارسية، ثم موقعة "بالاتيا" سنة ٤٧٩ ق.م، وفيها تمكنت القوات البرية بقيادة اسبرطة من هزيمة الفرس، ثم موقعة " ميكالى" وهى موقعة بحرية انتصرت فيها القوات اليونانية بزعامة أثينا على الأسطول الفارسي. وأسفرت هذه الحروب عن انحسار التهديد الفارسى عن بلاد اليونان الاصلية.

ج - صراع الزعامة بين أثينا واسبرطة والحروب البلوبونيزية

بعد زوال الخطر عن بلاد اليونان الأصلية، ظلت المدن اليونانية الأسيوية تحت السيطرة الفارسية، وكانت هذه المدن تتوق إلى التحرر من هذه السيطرة خاصة بعد أن اضطرت للحرب ضد اليونان فى صفوف الفرس، وفر جنودها من صفوف الفرس إلى صفوف الجيش اليونانى أثناء هذه المعارك، وكانت هذه المدن فى حاجة للانضمام إلى المدن اليونانية الأصلية بدلا من وقوعها تحت سيطرة الفرس، وكان الأمر لا يحتاج إلا لظهور قوة سياسية تتمكن من توحيد بلاد اليونان تحت قيادتها لتحقيق هذا الغرض ومواجهة التهديدات الخارجية، وكانت أثينا واسبرطة هما أقوى المدن اليونانية فى ذلك الوقت خاصة بعد الدور الذى لعبته كل منهما فى الحرب ضد الفرس.

وحدث فى أعقاب موقعة بالاتيا التى كانت احدى مراحل حرب اليونان ضد الفرس أن تركت اسبرطة أداء دورها القومى وعاد جيشها إلى المدينة للحفاظ على موقع اسبرطة على رأس حلف البلوبونيز الذى كانت تتزعمه عسكريا، والحفاظ على الأوضاع السياسية فى المناطق المتاخمة لاسبرطة والتابعة لها مثل سهل ميسينيا.

وأدت هذه الأحداث إلى انفراد أثينا بفرصة ذهبية فى بداية القرن الخامس ق.م لزعامة بلاد اليونان، ساعدها على ذلك انسحاب اسبرطة من هذا الصراع، والاستقرار الاقتصادى والسياسى الذى كانت تتمتع به أثينا، والدور الكبير الذى لعبته فى انتصار المدن اليونانية على الفرس،وكانت الخطوة الأولى التى خطاها

الأثينيون فى هذا الاتجاه هى تقدمهم بعد موقعة ميكالى واستيلاؤهم على مدينة "سستوس" عند مدخل البحر الأسود، وأصبحت أثينا بذلك مهيئة لقيادة المدن اليونانية الأسيوية ضد السيطرة الفارسية، وأسفرت هذه الأحداث عن تكوين حلف من المدن الآسيوية اليونانية بزعامة أثينا وذلك فى سنة ٤٧٨ .م وسمى ذلك الحلف باسم حلف ديلويس نسبة لجزيرة ديلوس التى تقع فى وسط بحر ايجة والتى تم اتخاذها مقرا للحلف.

وقد كان هذا الحلف قائما على أساس أن تقدم كل من المدن المشتركة فيه عددا من السفن والأموال لتكوين أسطول للدفاع عن البلاد ضد الفرس، وكانت أثينا بطبيعة الحال أقوى هذه المدن وأقدرها على الاسهام ولهذا فقد كان الحلف منذ نشأته خاضعا لسيطرتها سيطرة مطلقة، واستغلت هى أيضا ذلك الظرف فى خوض العديد من المعارك التى انتهت بتحرير كامل للجزء الجنوبى من المدن اليونانية الواقعة فى آسيا الصغرى من سيطرة الفرس وانضمت هذه المدن بطبيعة الحال إلى حلف ديلوس.

ولم تستمر هذه الأوضاع طويلا على هذا النحو إذ أنه بانتهاء التهديد الفارسى لهذه المدن بدأ البعض منها ينظر إلى هذا الحلف على أنه قد صار أمرا لا ضرورة له، وبدأت بعض المدن فى محاولة الخروج من الحلف، ولما هذا كان الحلف قد تحول إلى امبراطورية أثينية فى واقع الأمر، فقد رفضت أثينا محاولات الخروج منه، وحاصرت قواتها مدينة "ناكسوس" حين حاولت الخروج من عضوية الحلف واجبرتها على التراجع بالقوة سنة٤٧٩ق.م، وقد كان دافع أثينا لذلك هو الازدهار التجارى والصناعي والسياسى الذى شهدته بفضل سيطرتها على التجارة فى بحر إيجة وازدياد النشاط الصناعى والتجارى نتيجة لذلك، وكانت السيطرة السياسية التى أصبحت مجالا لأثينا لتكوين امبراطورية بفضل زعامتها لهذا الحلف.

وهكذا قويت قبضة أثينا وتدعمت سيطرتها على هذا التحالف وخاصة فى عهد بركليس الذى تولى الزعامة لمدة ٣٠ عاما، وأصبحت أثينا سيدة بحر إيجة تجاريا وسياسيا، كما شهدت هذ الفترة إزدهارا أدبيا وفكريا واقتصاديا وتم خلالها استكمال

البناء الديمقراطى للنظام السياسى فى البلاد نتيجة لتعاظم دور العامة فى تحقيق انجازات البلاد فى النواحى الاقتصادية والعسكرية، وهكذا تم الحد من سلطات مجلس الاريوباجوس لصالح الطبقات الأخرى، كما تم توسيع دائرة الاختيار لعضوية الجهاز التنفيذى لتشمل الطبقة الثالثة من طبقات المجتمع، كما تم فى هذه الفترة أيضا إقرار نظام الأجور التى تمنح للمواطنين مقابل حضور جلسات المحاكم الشعبية ومجلس الشورى وشغل الوظائف الادارية، وكانت قبل هذا العهد تعد من قبيل الخدمات العامة دون أجر، مما كان يمنع الفقراء من ممارستها حرصا منهم على عدم اضاعة دخلهم اليومى، وقد أدى هذا الإجراء إلى ممارسة كافة المواطنين بشكل فعلى لدورهم السياسى فى ظل النظام الديمقراطى.

د- الحروب البلوبونيزية

ازدهرت أحوال اثينا الاقتصادية والسياسية والعسكرية فى ظل زعامتها لحلف ديلوس، وأصبحت تمثل قوة كبرى بين مدن بلاد اليونان، ولكنها لم تكن القوة الوحيدة، فقد كانت اسبرطة فى نفس الوقت زعيمة على حلف يضم المدن اليونانية الواقعة فى شبه جزيرة البلوبونيز، وكانت تمثل قوة برية تعتمد على أرض زراعية وجيش عسكرى قوى ومنظم، وكانت أيضا من الناحية الداخلية تمثل مجتمعا قائما على سطوة الطبقة الارستقراطية من ملاك الأرض، وهى لكل هذه العوامل تمثل تناقضا مع أوضاع أثينا، وكان لا بد لها أن تخشى من ازدياد قوة أثينا وسطوتها واستئثارها الوشيك بزعامة بلاد اليونان.

لمثل هذه الاسباب بدأ الصراع بين أثينا واسبرطة، وقد بدأ هذا الصراع بشكل فعلى بسبب التوسع الأثينى بحثا عن أسواق تجارية جديدة فى الغرب، مما هدد مصالح بعض المدن مثل كورينثة وميجارا، ورغم أن التجارة لم تكن من الأنشطة التى تمارسها اسبرطة، إلا انها كانت على استعداد للوقوف أمام أثينا دفاعا عن مصالح المدن الأخرى نظرا لخشيتها من ازدياد النفوذ الأثينى على حسابها.

كان الصراع أمرا واقعا لا محالة، ولم يكن الأمر يحتاج إلا لنقطة واحدة ينطلق منها،وكانت هذه النقطة أو البداية هى نزاع بين كورينثة واحدى الجزر

التابعة لها وهى جزيرة كوركيرا التى تحالفت مع أثينا وانفصلت عن كورينثة، ولما كانت كورينثة تخشى على نشاطها التجارى من السيطرة الأثينية، فقد استعانت باسبرطة ضد أثينا، ووجدت اسبرطة فى ذلك الفرصة لضرب النمو المطرد فى القوة والنفوذ الأثينى، ومن هنا بدأت أولى مراحل هذا الصدام العسكرى بين أثينا واسبرطة والمسمى بالحروب البلوبونيزية.

بدأت هذه الحروب سنة ٤٣١ ق.م، واتسمت بانقسامها إلى عدة مراحل وعدم توصل أطرافها إلى نتائج حاسمة، فمن ناحية أسبرطة فانها قد بدأت الحرب باجتياح سهل أتيكا لحرمان أثينا من وارداتها الزراعية، وردت أثينا بهجمات من أسطولها على السواحل البلوبونيزية، كما قطعت الخطوط التجارية بالمدن الموالية لاسبرطة، ولم تنجح محاولات كلا الطرفين فى الوصول لانتصار حاسم، فانتهت المرحلة الأولى من الحرب بعد عشر سنوات بصلح نيكياس، وهو اسم القائد الأثينى الذى مثل بلاده فى عقد الإتفاقية.

لم يدم السلم طويلا، إذ سرعان ما بدأت المرحلة الثانية من الحروب، وهى تلك التى خاضتها أثينا بقوة بحرية فى جزيرة صقلية لاخضاع مدينة سيراكوز واحكام الحصار حول مدن البلوبونيز، إلا أن هذه الحملة لم تسفر عن شيء حيث أصابها الفشل وتم تدمير القوة الأثينية وهزيمتها سنة ٤٢٣ ق.م.

هدأت الأحوال بعد ذلك لسبع سنين كانت اسبرطة فى خلالها تبحث عن مساعدة الفرس فى الحصول على قوة بحرية، وحين تم لها ذلك استأنفت الحرب ضد أثينا للاستيلاء على مداخل البحر الأسود لقطع الخطوط التجارية الأثينية هناك، وأسفرت هذ الحملة عن أنتصار الأسطول الأثينى سنة ٤٠٦ ق.م فى موقعة أرجينوساى Arginusae، وبعدها بعامين انتصرت اسبرطة فى موقعة ايجرسبوتامى سنة ٤٠٤ ق.م وتم تدمير الأسطول الأثينى بأكمله واعلان استسلام أثينا وانهيار امبراطوريتها.

٨ – بداية الانهيار فى نظام دولة المدينة

شهد القرن الرابع انهيار السيطرة الأثينية فى اليونان، واصبحت اسبرطة تحتل مكانة أثينا فى قيادة الدويلات اليونانية الأخرى، إلا أن هذه القيادة لم تسفر عن أى نوع من الازدهار أو الوحدة لهذه البلاد، بل على العكس من ذلك فقد بدأ ظهور النزعات الانفصالية بشكل واضح، وازداد التمزق بين الدويلات المختلفة، فقد بدأ الاسبرطيون عهد زعامتهم لباقى المدن بصرامة بالغة وقسوة أدت إلى نفور هذه المدن من اسبرطة والثورة عليها، وقد شجع على ذلك الاتجاه أن الفرس الذين ساعدوا اسبرطة ضد أثينا كانوا ينتظرون المقابل من اسبرطة فى اعادة المدن الأسيوية إلى سيطرتهم، ولما لم تف اسبرطة بذلك، بدأ الفرس فى مساعدة هذه المدن عسكريا للثورة ضد اسبرطة وانتهى الأمر بعقد صلح بين اسبرطة وفارس سنة ٣٨٦ ق.م واعادة معظم المدن اليونانية فى آسيا الصغرى إلى السيطرة الفارسية، وأدى ذلك الأمر بطبيعة الحال إلى سقوط المكانة الأدبية التى كانت تتمتع بها اسبرطة كزعيمة لمدن اليونان، كما أن الجيش الاسبرطى الذى كان موزعا كحاميات عسكرية على المدن الأخرى قد أضعف من قدرة اسبرطة على السيطرة على البلاد، وكانت النهاية الطبيعية لذلك هى سقوط اسبرطة فى أول مواجهة عسكرية مع احدى المدن اليونانية حيث تمكنت طيبة من تكوين جيش قوى ألحق الهزيمة بالقوات الاسبرطية فى موقعة "ليوكترا" سنة ٣٧١ق.م، وتابعت طيبة بعد ذلك مجهوداتها لتحل محل اسبرطة فى توحيد بلاد اليونان وزعامتها، إلا انها لم تنجح هى الأخرى لافتقارها إلى مقومات الزعامة من تقدم حضارى واقتصادى وجيش نظامى قوى، وفى نفس هذه الفترة كانت أثينا تحاول استعادة مجدها ومكانتها وامبراطوريتها القديمة وذلك عن طريق تحالف جديد يضم عددا من المدن اليونانية، وقد كان من العوامل التى ساعدت أثينا على وشجعتها على الاقدام على هذه المحاولة الفترة التى كانت فيها اسبرطة تبسط سيطرتها على هذه المدن، والمعاملة القاسية التى كانت تعامل بها حلفاءها مما جعلهم يشعرون بالكراهية الشديدة نحو اسبرطة ويتطلعون إلى استبدالها باية زعامة أخرى.

ورغم أن هذا الظرف كان فى صالح أثينا لاستعادة امجادها إلا أن أثينا لم تستفد من الدرس السابق ومن نبثت أن عادت إلى معاملة الحلفاء معاملة سيئة،

وشعرت المدن الحليفة أنها خاضعة لنفوذ أثينا خضوعا مطلقا وليسوا مجرد حلفاء، ولهذا بعد زوال خطر اسبرطة في اعقاب هزيمتها من طيبة، سرعان ما بدأ هؤلاء الحلفاء في محاولة الخروج من التحالف مع أثينا، ودخلت أثينا حربا ضد هذه المدن انتهت بعقد صلح بين الطرفين سنة ٣٥٤ ق.م وكانت نتيجة ذلك الصلح أن عادت كل مدينة إلى الوضع الاستقلالي عن الحلف، وفقدت أثينا بذلك السيطرة على بحر إيجة.

الاوضاع الداخلية في المدن اليونانية بعد انهيار محاولات الوحدة

في منتصف القرن الرابع ق.م كانت المدن اليونانية بأكملها قد صارت وحدات مستقلة كل منها منفصل تماما عن الأخر، وذلك بعد فشل محاولات توحيدها تحت زعامة أثينا أو اسبرطة أو طيبة، وشهدت الحياة في هذه المدن تدهورا كبيرا في شتى المجالات، فمن الناحية الاقتصادية تعرضت موارد هذه المدن إلى نقص شديد بعد أن فقدت اليونان أسواقا كثيرة كانت تصدر إليها منتجاتها في القرن الخامس ق.م، ومن ناحية أخرى أدت أزمة الموارد وأزمة الانتماء إلى ظهور الجنود اليونانيين الذين يعملون كمرتزقة بأعداد كبيرة لحساب أية دولة أجنبية حيث حارب هؤلاء الجنود في صفوف الفرس ضد مصر، ثم حاربوا في صفوف جيوش المدن اليونانية ذاتها بدلا من المواطنين، كذلك انهارت النظم السياسية التي كانت تحكم المدن اليونانية وحل محلها المصالح الشخصية والطبقية الضيقة، وظهرت طوائف الديماجوجية والمخبرين والانتهازيين، وبدأ المجتمع في الانهيار، وكان هذا نذيرا ومؤشرا بقرب سقوط المدن اليونانية وهو ما حدث بالفعل حيث تمكنت مقدونيا من اسقاطها الواحدة تلو الأخرى.

مقدونيا واخضاع بلاد اليونان

بعد الانهيار الداخلي الذي أصاب المدن اليونانية، وبعد أن آثر الفرس عدم التدخل العسكري في شئون اليونان أو مواجهتها عسكريا، كانت مقدونيا هي الخطر الجديد الذي يهدد هذه المدن.

وقد كانت مقدونيا تملك كل المقومات التى تؤهلها لان تكون خطرا حقيقيا ضد بلاد اليونان، فهى من الناحية الاقتصادية تملك الموارد الوفيرة من مناجم وغابات واراض زراعية ومراع واسعة، ومن الناحية السياسية نجدها قد توحدت وصار لها جيش قوى بفضل جهود الملك فيليب.

وبالاضافة إلى ذلك فان موقع مقدونيا على الحدود الشمالية لبلاد اليونان كان من العوامل التى أوحت للملك فيليب بسهولة غزو البلاد من الناحية الجغرافية، مستغلا فى ذلك الانقسام الشديد فى صفوف المجتمع اليونانى وافتقاده الكامل للوحدة السياسية، وبدأ فيليب المقدونى فى تطبيق سياسته هذه بأن يقوم بالهجوم على إحدى المدن ويهادن فى نفس الوقت المدن الأخرى، وكلما أسقط مدينة أتجه إلى الأخرى، ولم تتنبه المدن اليونانية إلى خطته هذه إلا بعد فوات الأوان، فحين اتحدت أثينا وطيبة لمواجهته كان خطره قد استفحل بحيث لم يعد من الممكن التصدى له وتمكن من هزيمة جيوشها فى موقعة "خايرونيا" سنة ٣٣٨ق.م، وأتم سيطرته بذلك على كل المدن اليونانية.

انتهت فى هذا التاريخ دولة المدينة بشكل فعلى، وان كانت قد بقيت فى صورة هشة استبقاها فيليب المقدونى، حيث جمع المدن اليونانية فى حلف أسماه الحلف الهيلينى يعمل على امداد ملك مقدونيا بما يحتاجه من جنود ومساعدات عسكرية ، وحرم عليهم الاقتتال فيما بينهم، وأبقى على المجالس الشعبية الخاصة بهذه المدن، ولكن كل ذلك كان مجرد مسائل شكلية والسلطة الفعلية كانت للملك المقدونى، وإن كان لليونانيين من انجاز فى هذه الفترة فهو انهم قد ظلوا متفوقين ثقافيا وحضاريا حتى أن الغزو العسكرى المقدونى لبلادهم لم يمنعهم أن يكونوا غزاة ثقافيين وفكريين لمقدونيا ولسائر الامبراطورية التى دانت بالولاء للإسكندر الأكبر وأخذت عن اليونان الأسس الثقافية والإدارية والعسكرية حتى امتزجت الحضارات الشرقية بالحضارة اليونانية فيما يسمى بالحضارة الهلينستية التى سادت فى العصور التالية.

٩- أهم الانجازات الحضارية فى بلاد اليونان(١)

المسرح

يعد المسرح أحد أهم الانجازات الحضارية لبلاد اليونان، حيث شهدت هذه البلاد مولده وازدهاره، ثم انتقل عنها إلى العالم بأسره، ولازال المسرح بقواعده وأصوله وفروعه يعد تراثا يونانيا أصيلا.

وترجع أصول فن المسرح فى اليونان إلى الاحتفالات الدينية التى كانت تقام هناك فى احتفالات الاله ديونيسوس، إله الخمر والكروم، وكانت هذه الاحتفالات تتم فى فصل الربيع من كل عام، ويتم خلالها تصوير المراحل التى تمر بها شجرة الكروم والاله المتصل بها فى فصول العام المختلفة، وتنتهى هذه المراحل بحلول فصل الربيع وانتصار الاله، وعودة الحياة والخضرة للاشجار، وقد كانت هذه الاحتفالات تتضمن الرقص والغناء والفكاهة، ومن خلالها نشأ المسرح بشقيه التراجيدى والكوميدى.

وقد مرت هذه الاستعراضات بمراحل مختلفة قبل أن ينبثق منها فن المسرح بشكله النهائى.

المرحلة الاولى هى مرحلة أغانى الديثرامب، وهى أغانى ظهرت فى القرن التاسع والقرن الثامن ق.م، وكان يقوم بها جماعات من المنشدين على رأس كل منها قائد، وانتقلت هذه الأغانى من مدينة كورينثة إلى مدينة أثينا، وصارت أحدى احتفالات الاله ديونيسوس، وقد كانت هذه الاحتفالات تتسم بالجدية، كما كانت تدور حول موضوعات متكاملة ذات بداية ونهاية ومعان واضحة، ولذلك فانها قد تطورت لتصبح أساس فن التراجيديا فيما بعد.

وقد كان هناك نوع أخر من الاستعراضات، وهى استعراضات هزلية يؤديها أشخاص يرتدون أزياء تمثل الحيوانات أو الطيور، وتعد هذه الاستعراضات هى النواة الأولى لفن الكوميديا.

وقد بدأ الظهور الفعلى للمسرح اليونانى على يد شخص يسمى ثيبيس، وهو مواطن عاش فى أثينا فى أواسط القرن السادس ق.م، ويرجع إليه الفضل فى تطوير طريقة أداء أناشيد الديثرامب، حيث أنه قد قام بتحويل أحد أفراد جوقة المنشدين إلى منشد منفرد، وجعله يقوم بتمثيل دور الشخصية التى تدور حولها الأحداث، وذلك من خلال حوار يدور بينه وبين الجوقة.

وبدأت المسرحيات فى هذ الفترة فى شكل بسيط وبدائى، ولم يتعد دور الممثل أن يكون مجيبا على الجوقة، وكان عليه القيام بكافة الأدوار والشخصيات التى تدور حولها القصة أو الحوار، وكان من الضرورى أن تتصل كافة الموضوعات بالاله ديونيسوس، كما كان المجيب وأعضاء الجوقة يرتدون جلد الماعز خلال هذه العروض، ومن هذه الملابس نشأت تسمية المسرح التراجيدى حيث أن كلمة تراجيديا فى اللغة اليونانية تعنى أغنية الماعز، وتتكون من مقطعين هما "تراجوس" وتعنى " الماعز"، و"أودوس" وتعنى " أغنية".

استمر المسرح بعد هذه البداية الأولى فى مراحل تطوره الأخرى، وكانت المرحلة الثانية هى مرحلة تطور الموضوع، حيث لم تعد الموضوعات قاصرة على الاله ديونيسيوس ولكنها تعدت هذا الوضع وصارت تتناول مسائل أخرى معظمها من الاساطير اليونانية، وكلها تدور حول الصراع بين البشر والالهة، أو بين الانسان والأقدار.

ثم حدث تطور جديد فى الشكل والأداء، وزاد عدد الممثلين إلى أثنين ثم ثلاثة وأربعة، كما حدث تطور أخر فى الاخراج و تنفيذ المسرحيات إلى أن وصل المسرح إلى أفضل أشكاله فى القرن الخامس ق.م، وفى ظل وجود أقطاب المسرح التراجيدى والكوميدى، ايسخيلوس وسوفوكليس و يوريبيديس وأريستوفانيس.

وجدير بالذكر أن هناك نوعا آخر من الأعمال المسرحية قد ظهر نتيجة للتطور الذى حدث فى أناشيد الديثرامب، والتى تحولت من مسرحيات تراجيدية بدلا من انشاد قصص الاله ديونيسوس ذلك النوع هو المسرحيات الساتيرية التى انتقلت اليها قصص الاله ديونيسوس، وهذه المسرحيات عبارة عن أعمال يقوم بها أشخاص يرتدون ملابس تصورهم فى شكل حيوانات مختلفة، ويقدمون مجموعة من المشاهد المأساوية ومشاهد أخرى تتضمن نقدا جريئا، وتتسم بالنهاية السعيدة، وتمتاز بالجمع بين قصص الاله ديونيسوس وعنصر الفكاهة.

وقد صارت هذه المسرحيات بديلا لاناشيد الديثرامب التى كانت تتناول قصص الاله ديونيسوس ثم تحولت إلى المسرح التراجيدى، وأصبح وجود هذه المسرحيات الساتيرية ضروريا إلى جانب المسرحيات التراجيدية خلال المباريات المسرحية التى كانت تقام فى أثينا بمناسبة أعياد الاله ديونيسوس.

هذا عن المسرح التراجيدى، أما المسرح الكوميدى فقد أختلف عن المسرح التراجيدى أو الساتيرى فى أمر أساسى، وهو أن الموضوعات التى تناولها لم تكن من الاساطير أو قصص الالهة، ولكنها كانت موضوعات من المجتمع والمفارقات والاوضاع التى يعيشها.

ولم تكن أثينا أسبق المدن اليونانية فى ظهور هذا اللون من الفن المسرحى بها، ولكن يبدو أن فن الكوميديا قد ظهر أولا فى ميجارا أو صقلية، إلا أنه قد بلغ أوج ازدهاره فى أثينا فى القرن الخامس ق.م، ويرجع هذا الازدهار إلى الظروف التى كانت تمر بها أثينا فى هذه الفترة، وخاصة الصراع مع اسبرطة والحروب البلوبونيزية، وما تسبب فيه من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية فى المجتمع، وما ظهر بعد ذلك من مفارقات وخلل اجتماعى، وأصبح كل هذا مادة خصبة للتناول الكوميدى على خشبة المسرح، كما أن هذه المرحلة قد شهدت ظهور العديد من المفكرين والمدارس الفلسفية ورجال السياسة والعسكريين، وكان هذا بمثابة موضوعات خصبة ومتجددة، وجد فيها المسرح الكوميدى معينا لا ينضب، وشهدت هذه الفترة العديد من المسرحيات الكوميدية التى لم تترك مجالا من

مجالات الحياة فى البلاد إلا وتناولته بالنقد اللاذع، وساعد على ذلك النظام الديمقراطى القائم فى أثينا فى ذلك الوقت.

عوامل ازدهار المسرح فى أثينا

أدت عوامل عديدة إلى ازدهار فن المسرح فى أثينا دون غيرها من المدن اليونانية، وقد كان الازدهار المسرحى فى أثينا ملحوظا إلى حد اطلاق اسم المسرح الأثينى على المسرح اليونانى بشكل عام، وسوف نعدد فيما يلى أهم العوامل التى ساعدت على الازدهار المسرحى فى مدينة أثينا.

١- الموقع الجغرافى

تمتاز شبه جزيرة أتيكا، حيث تقع أثينا، بموقع جغرافى متميز، وقد ساهم ذلك فى تسهيل عملية الاتصال الحضارى بين أثينا وما حولها من المدن الأخرى، هذا بالاضافة إلى سهولة الاتصال مع جزر بحر ايجة، والمدن اليونانية الواقعة على ساحل أسيا الصغرى، ونتج عن كل هذا احتكاك مستمر بين الأدباء الاثينيين وهذه المناطق، وساعدهم هذا الاحتكاك على تعلم أساليب وطرق أدبية جديدة، قاموا بتطويرها والاستفادة منها فى مختلف أعمالهم.

٢- الظروف التاريخية

شهدت مدينة أثينا فى القرن السادس ق.م فترة حكم الطغاة، وكان لهذه الفترة، وخاصة على يد بيزاستراتوس، فضل كبير فى الازدهار الأدبى الذى شهدته البلاد، فقد وجه هذا الحاكم اهتماما كبيرا للأداب والفنون وشجع العاملين بها، وتم فى عهده جمع وتدوين الالياذة والاوديسية، وصارتا بعد ذلك أساسا لمعظم الأعمال المسرحية فى ذلك الوقت وبعد ذلك، وكان للتشجيع الذى لاقاه الأدباء والفنانون أثره البالغ فى ظهور العديد من الأدباء فى شتى المجالات، وكانت هذه المرحلة نقطة انطلاق للأداب والفنون فى أثينا، وظهرت ثمارها فى الازدهار الكبير الذى شهدته

الحياة الثقافية فى القرن الخامس ق.م، وظهرت على اثر ذلك المباريات المسرحية نتيجة للازدهار المسرحى الكبير سواء فى التراجيديا أو الكوميديا.

٣- الظروف السياسية

شهدت أثينا فى القرن الخامس ق.م ظروفا سياسية أسهمت فى النهضة الأدبية والفنية التى أدت إلى ظهور المسرح الأثينى، تلك الظروف هى وصول أثينا إلى زعامة معظم المدن اليونانية سياسيا ونجاحها فى تكوين حلف ديلوس تحت زعامتها، وأدى هذا إلى وصول المدينة إلى مركز سياسى وأدبى ورخاء اقتصادى كبير.

وكانت أثينا قد وصلت إلى هذا المركز نتيجة نجاحها فى استثمار قيادتها للمدن اليونانية، وانتصارها على الفرس سنة ٤٨٠ ق.م، ونجحت بعد ذلك فى تحويل حلف ديلوس إلى امبراطورية أثينية تعود عليها بالكثير من الناحية السياسية والاقتصادية.

أدى كل هذا إلى انتعاش كبير فى الآداب والفنون، وكان ازدهار المسرح أحد أهم مظاهر هذا الانتعاش، وأثمر الرواج الاقتصادى القدرة على تنظيم وتمويل المهرجانات السنوية المسرحية التى كانت تقام فى أثينا فى ذلك الوقت.

المقومات البشرية للمسرح اليونانى

١- الجوقة

الجوقة أو الكورس هى أهم العناصر والمقومات البشرية للمسرح اليونانى، بل هى فى واقع الأمر أساس هذا المسرح ونشأته الأولى، فلم يكن هناك كما رأينا

سوى جوقة المنشدين قبل أن تضاف عناصر التمثيل الفردى وتزداد مساحته على حساب الجوقة مع مرور الوقت.

ويمكننا متابعة دور الجوقة بسهولة من خلال سطور المسرحيات التى وردت الينا من ذلك العصر سواء فى التراجيديا أو الكوميديا، ويمكننا أن نلحظ الدور الكبير الذى كانت الجوقة تلعبه فى شتى أنواع المسرحيات فى بداية القرن الخامس ق.م، ثم نلحظ كيف أخذ هذا الدور فى التقلص التدريجى إلى حد أننا لا نجد ثمة دور للجوقة سوى انشاد بعض الأغانى فى الفترات الفاصلة بين مشاهد المسرحيات، وهى أغانى لا تؤثر فى سياق أو جوهر الأحداث، ومن اليسير الاستغناء عنها دون الاخلال بسياق العرض المسرحى.

٢- الممثلون

يرجع الفضل فى وجود الممثل المسرحى- كما سبق أن ذكرنا- إلى ثيبيس، ذلك الشخص الذى أدخل عنصر الممثل أو المجيب فى القرن السادس ق.م، وجعله يشارك الجوقة فى الأداء ويحاورها من خلال قائد هذه الجوقة.

وقد تطور عنصر التمثيل بعد ذلك من شخص واحد لدى ثيبيس، إلى شخصين لدى ايسخيلوس، ثم ثلاثة لدى سوفوكليس، ثم أخذ العدد فى الازدياد حتى رأينا أعدادا كبيرة من الممثلين تشارك فى أعمال أريستوفانيس فى القرن الرابع ق.م.

وقد تمكن المسرح اليونانى من التغلب على مشكلة زيادة عدد الشخصيات عن عدد الممثلين باستخدام الأقنعة، وأمكن بذلك أن يقوم شخص واحد بتمثيل العديد من الأدوار باستخدام القناع المناسب لشخصيته التى يؤدى دورها، وكان هناك عدد آخر من الأشخاص الذين يقومون بالأدوار الثانوية.

وقد كانت قلة عدد الممثلين من العوامل التى ساعدت على سهولة الحركة والتركيز، وكان على الممثل عبء ضخم يتمثل فى ضرورة إجادة استخدام

الصوت والتعبيرات الحركية في تأدية الأدوار المختلفة، وذلك حتى يتناسب هذا الأداء مع الشخصية التي يؤديها والقناع الذي يرتديه، وكان الممثلون يخضعون لتدريبات جادة ومكثفة حتى يصلوا إلى مرحلة الاتقان التام للأدوار التي يقومون بها.

٣- الجمهور

لم تكن العروض المسرحية في بلاد اليونان في هذ الفترة من التاريخ تتم بالشكل والاسلوب الذي نعرفه الأن، ولم يكن المشاهدون يذهبون إلى المسرح في أي وقت لمشاهدة المسرحية التي تروق لهم، ولكن كانت المسرحيات تعرض بصفة عامة في المباريات المسرحية، وفي موسم محدد من كل عام: وكانت هذه المسرحيات والمنافسات التي تدور بشأنها تمثل جزءا من الاحتفالات الدينية التي تقام على شرف الاله ديونيسوس، لذلك فان المواطنين كانوا يذهبون إلى المسرح كجزء من واجباتهم، وكانوا يحرصون على حضور هذه المباريات المسرحية والاحتفالات الدينية، وكان تمويل هذه الاحتفالات يتم عن طريق الدولة سواء من ناحية العروض المسرحية وتكاليف اخراجها أو من ناحية الجوائز، وكانت الدولة بالاضافة إلى ذلك تقوم بدفع مبلغ من المال للفقراء من المواطنين تعويضا لهم عن ترك أعمالهم وحضور الاحتفالات.

العناصر المعمارية للمسرح اليوناني

١- الاوركسترا

الاوركسترا هي المكان المخصص للجوقة، وكانوا يقومون بانشاد الاناشيد وأداء الرقصات مع بداية ظهور المسرح اليوناني.

وكانت الاوركسترا تقع في مكان متوسط ومستدير، ويتوسط هذا الموقع المذبح الخاص بالاله ديونيسوس، وقد تطور هذا الجزء من البناء المعماري

للمسرح من ناحية الأهمية والمساحة حسب التطور الذى شهده المسرح عبر تاريخه، فقد تضاءلت أهمية الاوركسترا مع تضاؤل أهمية الجوقة بالنسبة للمسرحيات، وانتهت بانتهاء دور الجوقة فى العصر الرومانى، وصارت هذه المساحة تستغل أحيانا لاضافة أماكن جديدة للمشاهدين.

٢- غرفة الممثلين

هى المكان الذى يستخدمه الممثلون فى تغيير ملابسهم لأداء أدوارهم، وقد تطورت مع مراحل تطور المسرح، وكانت فى البداية خيمة بسيطة توجد بالقرب من رأس الاوركسترا وفى مواجهة الجمهور، وتتم ازالتها عند نهاية الموسم المسرحى، ثم تطورت بعد ذلك واصبحت بناءا خشبيا ذا أبواب للدخول والخروج، ووصلت إلى أفضل شكل لها فى القرن الخامس ق.م، وصارت على شكل بناء دائم مبنى من الاحجار وعليه صور وتماثيل، وأمامه أعمدة للزينة.

٣- خشبة المسرح

ليس هناك دليل مادى على أن المسرح اليونانى قد عرف فى بداياته فى القرن الخامس مكانا مخصصا يؤدى عليه الممثلون أدوارهم ويمكن أن يسمى خشبة المسرح.

وفى الغالب أن الممثلين كانوا يؤدون أدوارهم فى ساحة الاوركسترا، وعلى نفس مستوى وقوف الجوقة، ثم تطور الأمر بعد ذلك خلال القرنين الرابع والثالث ق.م، وصارت المسارح تضم بناءا حجريا مرتفعا يؤدى عليه الممثلون أدوارهم، وهو ما يمكن أن يسمى خشبة المسرح وفقا للتعبير المعروف فى وقتنا هذا.

٤- المدرجات

هى الأماكن التى كان يجلس عليها الجمهور لمشاهدة العرض المسرحى، وقد مرت بعدة مراحل وتطورات، فكان المشاهدون فى بادىء الأمر يجلسون على التلال المحيطة بالاوركسترا، وتم بعد ذلك اضافة مقاعد خشبية على هذه التلال والمنحدرات، ثم تم بناء مدرجات حجرية فى القرن الخامس ق.م، وقد كانت تحيط بساحة الاوركسترا من كل الجوانب تقريبا، ويخترقها العديد من الممرات التى تسمح بمرور المشاهدين، وكانت هذه المدرجات تتسع فى بعض الاحيان لجلوس أكثر من عشرين ألف متفرج.

ويبدو أن هذا الاتساع منطقيا لو علمنا أن الاحتفالات والمباريات المسرحية كان يحضرها كل مواطنى المدينة أو أغلبهم، وقد تمكن اليونانيون من التغلب على عقبة توصيل صوت الممثلين إلى هذا العدد الكبير من المشاهدين عن طريق بناء المسارح وسط مجموعة من التلال بحيث يساعد المكان على حسن تردد الصوت ووصوله إلى أبعد مشاهد عن خشبة المسرح.

(١) : أنظر : د/ لطفى عبد الوهاب يحيى - اليونان

الديمقراطية الأثينية (٢)

مر المجتمع اليونانى بالعديد من المراحل وصولاً إلى شكل سياسى معين لحكم المدن أو الدويلات التى كانت تحكم اليونان وتنقسم إلى العديد منها .

ولعل أوضح المدن اليونانية فى مجال التطور السياسى هى مدينة أثينا، تلك المدينة التى تزعمت المدن اليونانية لفترة من الزمان، والتى تميزت عن المدن الأخرى بالتطورات السياسية والثقافية والفنية التى كان لها فيها صفة الريادة فى بلاد اليونان .

وقد مرت مدينة أثينا عبر تاريخها بسلسلة من التطورات السياسية، فبدأت بالنظام القبلى، حيث كانت الهجرات الاستيطانية تتم فى شكل قبائل تستقر فى إحدى المناطق، ثم يتولى أحد زعماء القبائل الحكم إلى جانب مجلس استشارى يتكون من رؤساء العشائر أو القبائل الأخرى، وقد أدى هذا النظام إلى ظهور الملكية، وهى أولى النظم السياسة المستقرة التى شهدتها بلاد اليونان، وكان الملك هو الشخص الذى انتقلت إليه سلطة رؤساء القبائل، وصار حاكماً على المدينة وقبائلها وعشائرها وتخومها، وكانت تجتمع فى شخص الملك السلطات السياسية والعسكرية والدينية، وقد شيدت هذه المرحلة مجلساً يشارك الملك فى الحكم، ويتشابه من حيث التكوين مع مجلس رؤساء العشائر، وذلك المجلس هو الذى يتكون من ممثلى الطبقة الارستقراطية من ملاك الأرض و الأثرياء، و كان وجوده إلى جانب الملك فى السلطة يمثل تكريساً لمبدأ الطبقية القائمة على الملكية و الثراء، ولعل هذا هو ما جعل الحكم فى هذه المرحلة شبيها فى توجهاته ونظمه مع مرحلة زعماء القبائل.

وتطورت الأمور بعد ذلك حين شعرت الطبقة الارستقراطية بأهميتها وبدأت فى ادارة صراع السلطة مع الملك، وأخذ الارستقراطيون ينتزعون سلطات الملوك الواحدة تلو الأخرى، حتى تمكنوا فى نهاية الأمر من اسقاط النظام الملكى والاستئثار بالسلطة، وخلال فترة حكم الارستقراطيين شهدت أثينا صورة من صور الصراع الطبقى الصارخ الصراع الطبقى الصارخ، حيث كان الارستقراطيون

الصراع الطبقى الصارخ، حيث كان الارستقراطيون يستخدمون كل شىء لصالحهم، ويطيحون به صالح الطبقات الأخرى وخاصة طبقة العامة والفقراء والمعدمين و قد ساعد على ذلك عدم وجود قوانين مكتوبة أو تفسير واضح للقوانين والأعراف القائمة، وأدى هذا الوضع إلى قيام الارستقراطيين بتفسير ووضع كل القوانين لمصالحهم الشخصية، وازدادت بذلك امتيازاتهم بينما ازداد العامة فقراً وتدهوراً.

لم يطل الوقت بالارستقراطيين وانفرادهم بالسلطة، فسرعان ما ظهرت طبقة أخرى فى المجتمع الأثينى امتلكت المال دون أن تمتلك الأرض، تلك هى طبقة التجار الذين ازدادت ثروتهم وتضخمت نتيجة لإنتشار النشاط التجارى فى شتى المدن اليونانية وفى حوض البحر المتوسط، شعرت هذه الطبقة هى الأخرى بأهميتها وقدرتها على منافسة الارستقراطيين، والسعى إلى مشاركتهم فى السلطة، وحاول الارستقراطيون بشتى السبل مقاومة أطماع التجار، ولكنهم رضخوا فى نهاية الأمر خوفا من انضمام العامة إلى صفوف التجار و الاطاحة بهم.

تحول نظام الحكم فى ظل التحالف بين الارستقراطيين والتجار إلى النظام الأوليجركى، أو حكم الأقلية، وهو نظام قائم على أساس سيطرة أصحاب الأراضى وأصحاب رؤوس الأموال على الحكم، وهذا بالطبع على حساب سائر الطبقات الأخرى، ولم يكن هذا النظام أحسن حالاً من سابقه، إذ لم يلبث العامة أن شعروا بمدى الظلم الواقع عليهم وبدأوا فى التحرك بحثاً عن حقوقهم فى حكم عادل يكفل لهم متطلبات حياتهم الأساسية، خاصة بعد أن صار لهم دور هام فى حياة المدينة، وأصبح منهم الحرفيون والصناع ومعاونو التجار والجنود وغيرهم من أصحاب المهن الأخرى التى كانت تمثل أهمية كبرى فى حياة المجتمع الأثينى فى ذلك الوقت.

أدى الصراع بين الطبقة الحاكمة وبين العامة إلى ظهور الأحزاب السياسية، كل حزب يمثل إحدى الطبقات، واشتد الصراع بينهم إلى أن ظهر نظام حكم الطغاة، وهم جماعة من الساسة الذين لا ينتمون إلى طبقة العامة، ومع ذلك فقد استغلوا ثورة العامة فى الاطاحة بحكم الأقلية، والاطاحة بشرعية الحكم ذاتها

وصاروا حكاما مطلقين باسم العامة، وحكموا دون مجالس نيابية أو قوانين دستورية، وحاولوا التقرب إلى العامة بمجموعة من الاجراءات التى تحسن من أحوالهم، كما تميزوا برعاية الفنون والأداب، إلا أن الأجيال التالية منهم كانت تفتقر إلى الحنكة السياسية والخبرة، ولذا فإنهم لم يتمكنوا من الاستمرار فى السلطة وانهار حكم الطغاة أمام مطالبة كافة الطبقات ومنها العامة بالشرعية والعدالة.

بعد كل التجارب التى شملت النظام الفردى ممثلاً فى الملك، ونظام حكم الأشراف، ثم حكم الأقلية، وكل منهما قائم على الوضع الطبقى، ثم نظام حكم الطغاة الذى كان ظاهره لصالح العامة وباطنه غياب الشرعية والدستور والاتجاه نحو الحكم الفردى المطلق، بعد كل هذا كان من الطبيعى أن يظهر إلى الوجود النظام الشعبى الديمقراطى، آخر وأنضج نظم الحكم التى شهدها المجتمع الأثينى عبر تاريخه القديم .

والديمقراطية هى كلمة يونانية الأصل، تعنى حكم الشعب، وقد حاول الأثينيون تطبيقها بإخلاص شديد وفقاً لهذا المفهوم اللغوى الذى تحمله.

وقد بدأت أثينا التطبيق الديمقراطى بمحاولة التخلص من كل أشكال الاستبداد الطبقى الذى عانت منه فى العصور السابقة، كما حاول الأثينيون تجنب كافة العيوب التى يمكن ان تشوب النظام الديمقراطى، وفى سبيل ذلك تم تقسيم المدينة إلى مجموعة من الأحياء، وصارت كل المناصب تشغل بالانتخاب الحر المباشر من هذه الأحياء (الديمات)، فيما عدا القائد العسكرى ومسئول المالية، نظرا لما تحتاجه كلتا الوظيفتين من كفاءة وخبرة خاصة، وكان الانتخاب للمناصب التنفيذية والتشريعية والقضائية يتم بالانتخاب والاقتراع السرى من الأحياء المختلفة دون قيد ولا شرط سوى تمتع الشخص بالمواطنة الأثينية وبلوغه السن القانونية، وكان نظام الحكم فى هذه الفترة يعتمد على سلطة تشريعية أساسها مجلس الاكليزيا، الذى يتكون من كافة المواطنين الأثينيين الأحرار بالغى السن القانونية، ثم مجلس البولى، الذى يعد الهيئة التحضيرية للاكليزيا والمشرف على تنفيذ قراراتها، بالاضافة لذلك كانت هناك المحاكم الشعبية، والتى كانت تتكون من قضاة يتم انتخابهم أيضاً بالاقتراع العشوائى، ولا توجد سلطة لأحد فى الغاء قراراتهم .

أما الجهاز التنفيذى فكان يتكون من الأرخون أو الحاكم، ويساعده مجموعة من الموظفين فى النواحى العسكرية والمالية والادارية المختلفة، وكافة المناصب الكبرى بالانتخاب فيما عدا القائد العسكرى والمسئول المالى كما سبق القول.

من خلال هذا العرض يمكن القول أن الأثينيين كانوا حريصين تماماً على الشكل الديمقراطى النموذجى، وقد بالغوا فى هذا الحرص إلى حد تحديد أجر يومى لكل مواطن عن حضوره جلسات الاكليزيا، وذلك حتى لا يتغيب أى مواطن عن هذه الجلسات بدعوى الحرص على كسب العيش، ورغم كل هذا فإن أثينا لم تتمكن فى ظل هذا النظام من الحفاظ على امبراطوريتها وتفوقها الاقتصادى والسياسى والعسكرى بين دويلات اليونان.

ولو حاولنا البحث عن الأسباب التى أدت إلى فشل الديمقراطية الأثينية فى تحقيق الاستقرار والتطور للمجتمع فسوف نجد العديد من الأسباب، والتى يمكن ايجازها فى النقاط الأساسية التالية :

١- رغم تمسك أثينا الحرفى بالديمقراطية، وحرصهم الشديد على تمثيل كل عناصر المواطنين فى الهيئات التنفيذية والتشريعية والقضائية، إلا أن الفكر الديمقراطى كان أسبق بكثير من فكر ووعى مواطن هذه المرحلة، فكان الكثير من المواطنين يحرص على الاشتراك فى جلسات مجلس الاكليزيا حرصاً على المكافأة وليس حرصاً على الأداء والمشاركة السياسية، كما كان المحلفون أو أعضاء المحاكم الشعبية يتخذون من هذه المهمة مظهراً من مظاهر الشعور بالأهمية دون أن ينتبهوا لخطورة المهمة الموكلة بهم وضرورة الحرص على أدائها. أى أن التطبيق الحرفى الذى سعى اليه الأثينيون كان ينقصه ضرورة إزدياد وعى المواطن الأثينى حتى يتسق الأداء الديمقراطى النموذجى المفترض.

٢- لم يكن قادة المجتمع الأثينى ليقيموا وزناً للمشاركة الشعبية اللا محدودة فى شتى جوانب الحكم، ذلك أن السواد الأعظم من المواطنين كان من ضحالة الفكر بحيث يمكن وقوعهم فى شراك الساسة ووعودهم الكاذبة وطموحهم الشخصى، ولم تزد الديمقراطية لأكثر من المشاركة الصورية لممثلى الأمة ممن أتى بهم إلى أتى

أتى بهم إلى مقدمة الصفوف نظام الإقتراع العشوائى، دون أن يكونوا فى أغلبيتهم مؤهلين لتمحيص الامور وتوجيه الحكم إلى المسار الصحيح.

٣- لم تكن تطورات الأحداث وأنماط الصراع السياسى فى القرن الخامس ق.م تسمح للمجتمع الأثينى بالتوقف والتقاط الأنفاس والسعى لتقديم ثقافة سياسية وفكرية منتظمة لسائر المواطنين، فقد تزامن مولد الديمقراطية مع وصول الامبراطورية الأثينية إلى ذروته، وصارت أثينا زعيمة مطلقة لحلف ديلوس وصارت موارد هذا الحلف تكرس فى واقع الأمر لتغذية الطموح الأثينى إلى المزيد.

و فى ظل هذا الوضع كان من المستحيل أن يتنبه الزعماء أو المواطنون إلى مسألة تطوير الأداء الديمقراطى والشئون الداخلية للمدينة، وانما كان الهم الأكبر للساسة والمواطنين هو الحفاظ على الانجازات الخارجية والوضع السياسى والعسكرى المتميز لمدينتهم .

٤- كان القرن الخامس ق.م ، والذى شهد ميلاد الديمقراطية، مرتعاً للكثير من التيارات الفكرية والفلسفية والسياسية، ففى هذه الفترة شهد المسرح الأثينى أوج ازدهاره، كما كان هناك سقراط بمدرسته وأفكاره الجديدة، وكذلك ظهر السوفسطائيون كاتجاه فلسفى جديد ومدرسة ابتعدت عن العلوم واتجهت إلى الانسان والفكر السياسى والأدبى، كما قاموا بتعليم السياسة والخطابة لمن يشاء من المواطنين القادرين، كما شهدت هذه الفترة أيضاً ازدهاراً فنياً وأدبياً لم تشهده العصور السابقة أو اللاحقة فى البلاد .

كل هذا أدى إلى وقوع المواطن الأثينى فى براثن العديد من التيارات المتعارضة، فإن اقتنع بما يطرحه أريستوفانيس من رؤى سياسية فى المسرح الكوميدى، عاد ووجد ما يناقض ذلك فى محاورات سقراط، وإن شاهد مسرحية لأيسخيلوس فوجد فيها الفكر المحافظ والشكل النمطى للمسرح التراجيدى، فإن مسرحية أخرى ليوريبديس كفيلة بهدم هذا النمط الذى حاول أيسخيلوس تكريسه، وهكذا فإن المواطن الأثينى فى هذه الفترة، وفى ظل غياب فرصة التعليم المنتظم

والموجه الذى يشمل كافة الطبقات، لم يكن قادرا على مواكبة الأحداث واستيعاب الدور المنوط به فى ظل الديمقراطية ذات الشكل النموذجى والمضمون الزائف.

٥- رغم حرص الأثينيين على اقامة نظام ديمقراطى كامل وتلافى عيوب تجاربهم السابقة منذ الحكم الملكى وحتى حكم الطغاة، فإنهم لم يتخلصوا من النزعة الطبقية، وإن اختلف مفهومها هذه المرة، فلم تعد مرتبطة بالثروة أو ملكية الأرض، ولكنها صارت طبقية حاملى هذه المواطنة، ذلك أن النظام الديمقراطى الأثينى قد تمت صياغته بحيث يشمل كافة المواطنين الأثينيين، أى أن كل من لا يملك حق المواطنة لا يحق له التمتع بمميزات هذا النظام، فإذا علمنا أن المجتمع الأثينى فى هذه الفترة كان زاخرا بالأجانب والعبيد، فضلاً عن سكان المدن الأخرى أعضاء حلف ديلوس، الممول الفعلى للامبراطورية الأثينية، فإننا سوف نرى أننا أمام نموذج جديد للطبقية السياسية، فالمواطن فى احدى مدن الحلف كان عليه أن يسدد الضرائب بإنتظام، وتذهب هذه الضرائب إلى أثينا، فتقوم أثينا بإنفاق هذا المال كأجور لمواطنيها لقاء حضور جلسات الجمعية الشعبية(الاكليزيا) تدعيماً للديمقراطية.

وهكذا تكون الديمقراطية حقاً أريد به باطل، وتكون هذه الممارسات سبباً فى حنق الحلفاء على أثينا و نظامها وتحينهم الفرصة للتخلص من هذا التحالف غير العادل.

٦- لم تكن الاصلاحات الساسية سواء فى مرحلة سولون أو مرحلة كلايسثينيس كافية للقضاء على الفوارق الطبقية الشاسعة بين الأثينيين، ولم يكن النظام الاقتصادى الأثينى يسمح للعامة بالتخلص من قيود الفقر الشديد، وقد أدى ذلك إلى غياب عنصر الديمقراطية الاجتماعية من التطبيق الديمقراطى الأثينى، وظل المواطن الأثينى الفقير على شعوره بالدونية، وعدم القدرة على المشاركة الفعالة فى ادارة شئون مدينته وكانت النتيجة الحتمية لهذا الوضع هى اقتصار القيادة السياسية للمدينة، رغم الديمقراطية، على رجال من الطبقة الارستقراطية أو التجار، أو بعض المغامرين الذين يجيدون لعبة السياسة، أى أن الأمر لم يختلف فى جوهره عن نظم الحكم السابقة التى تداول السلطة فيها ملك الأرض والأثرياء

والأفاقون، أما المشاركة الشعبية الحقيقية فإنها لم تكن لتقوم لها قائمة دون أهم دعاماتها، وهى الديمقراطية الاجتماعية.

تلك هى أهم الأسباب التى عاقت النظام الديمقراطى الأثينى، وأدت إلى اجهاض التجربة الرائدة فى الحضارات القديمة، ولعل أهم النتائج التى تمخض عنها فشل الأداء الديمقراطى الأثينى فى القرن الخامس ق.م هى كارثة الحروب البلوبونيزية التى أودت بامبراطورية أثينا وزعامتها وأسطولها البحرى وأوقفت مسيرتها السياسية و الثقافية، وجعلت منها مجرد تراث تتدارسه الشعوب جيلاً بعد جيل.

(٢) أنظر: مجلة الدراسات البردية - جامعة عين شمس- (بحث للمؤلف).

الفكر السياسي في اليونان(٣)

يختلف الفكر السياسي في مفهومه عن النظام السياسي، فالنظام السياسي يقصد به نظام الحكم القائم بالفعل من الناحية التنفيذية في بلد من البلدان، ومثال ذلك نظام الحكم الاشتراكي أو النظم الرأسمالية أو النظم الجمهورية أو النظم الملكية أو الامبراطورية أو الحكومات الدينية، وغيرها من أنظمة الحكومات التي عرفها العالم عبر تاريخه.

أما الفكر السياسي فالمقصود به الأفكار والنظريات السياسية التي تظهر في كتب وآراء المؤرخين والفلاسفة وغيرهم من الكتاب حول أفضل النظم السياسية التي ينبغي للشعوب الأخذ بها.

وقد شهد تاريخ اليونان صور عديدة ومراحل مختلفة للفكر السياسي ويعد الفكر السياسي واحدا من أهم الانجازات الحضارية اليونانية في عصرها الذهبي، وسوف نتناول فيما يلي أهم مراحل الفكر السياسي في تاريخ اليونان.

أ- مرحلة هوميروس

هوميروس كما نعلم هو شاعر الملاحم الأول والأقدم والأشهر في تاريخ الأدب اليوناني، وملحمتا الالياذة والاوديسية هما تراث مكتوب يمكن من خلاله أن نستنتج معالم التاريخ اليوناني في مراحله الأولى.

تدور الملحمتان في الفترة الواقعة حوالي القرن التاسع ق.م ، تلك الفترة التي شهدت بداية تراجع النظام الملكي أمام المد الارستقراطي، وغياب طبقة العامة وسائر الطبقات الأخرى عن ساحة الحكم، وينحصر صراع السلطة في ذلك الوقت بين الملوك والأشراف من مالكي الأرض والثروة.

ويرسم هوميروس صورة معالم الفكر السياسي في هذه المرحلة فنجدها تتمثل في مجتمع ينشد الاستقرار من خلال البحث عن صيغة للتفاهم بين الملك والطبقة

الارستقراطية، مع اندحسار دور العامة فى اطار حضور مناقشات المجالس التشريعية فقط دون التأثير سلبا أو ايجابا فى هذه المجالس.

بالاضافة إلى ذلك هناك دعوة لوجود اقتصاد منظم قائم على الزراعة والرعى بصورة أساسية، ثم ضرورة وجود خطة دفاعية لتحصين البلاد ضد الأعداء، وضرورة وجود قوانين وأعراف تنظم العلاقة بين سائر أفراد وطبقات المجتمع.

هذه الأفكار يمكن استخلاصها من أشعار وملاحم هوميروس ، ويمكن اعتبارها البداية الأولى للفكر السياسى فى بلاد ليونان.

ب- مرحلة هسيودوس

هسيودوس هو شاعر الملاحم الثانى بعد هوميروس، وترجع أعماله إلى القرن الثامن ق.م، وهى المرحلة التى استقر فيها الصراع بين الملك ومالكى الأرض لصالح هذه الطبقة، وتمكن الارستقراطيون من الاستيلاء على كل صلاحيات الملوك وصارت البلاد تحكم لصالحهم.

تميزت هذه الفترة بسيطرة كاملة، سياسية واقتصادية وعسكرية، لصالح الطبقة الارستقراطية، وتميزت أيضا باستكمال الشكل السياسى لدولة المدينة، وتحقق فى البلاد مفهوم الدولة الذى كان يعد شعارا فى مرحلة هوميروس، كما صارت أحوال العامة أقل سوءا من ذى قبل ،إن ظلوا محرومين من المشاركة الفعلية فى شئون مدينتهم.

تمكن اليونانيون إذن من التوصل إلى المجتمع المنظم، وعرفوا الاستقرار السياسى، إلا أن دعامة هامة من دعامات الاستقرار قد ظلت غائبة، وهى دعامة العدل الاجتماعى، فقد كان الارستقراطيون يحكمون البلاد بقوانين من صنعهم، ويستثمرون كل الاوضاع ويفسدون كل الأمور لصالحهم، وذلك على حساب كل

قوى المجتمع الباقية، ولم يعد المجتمع فى هذه المرحلة فى حاجة إلى التنظيم قدر حاجته إلى العدالة.

ونستخلص من ملاحم هسيودوس معالم الفكر السياسى فى هذه الفترة، ونجده يركز على قيمة العلم وصولا للازدهار الشخصى والجماعى، وقيمة العدالة وصولا إلى مجتمع صالح متماسك.

إلا أن هسيودوس لم يكن ينادى بالعدالة الاجتماعية أو السياسية أو العدل المطلق، ولكنه كان يطالب بالعدالة الاخلاقية، أى التزام الشخص بحقوقه وواجباته مع بقائه حيث هو، وحيث توجد طبقته، والتزامه بالتعامل السوى مع سائر طبقات المجتمع وانطلاقا من هذا الوضع.

ج- مرحلة سولون

منذ القرن الثامن ق.م، وبداية سيطرة الطبقة الارستقراطية، بدأت حركة الهجرة والاستيطان الخارجى والنشاط التجارى فى بلاد اليونان، وأسفرت هذه الحركة عن ظهور طبقة جديدة من الأثرياء، وهى طبقة التجار، كما اسفرت أيضا عن تطور أوضاع طبقة العامة، ودخول العديد منهم إلى دائرة الانتعاش الاقتصادى نتيجة عملهم كحرفيين أو معاونين للتجار، أو اشتراكهم فى الجيوش التى تشارك فى حماية الخطوط التجارية الجديدة.

أفرزت هذه الأوضاع الاجتماعية الجديدة صراعا ضاريا بين الارستقراطيين والتجار إلى جانب العامة، فقد كان الارستقراطيون يملكون الارض والحكم، بينما التجار يملكون الثروة ومحرومون من الحكم، والعامة بدأوا فى احراز بعض التقدم الاقتصادى دون احراز أى قدر من التقدم السياسى.

ظهر فى هذه الفترة شخص يسمى سولون، وهو رجل دولة ومفكر سياسى حاول أن يقوم بتشريع يحقق التوازن بين الطبقات القائمة حسب وضع كل منها،

ونتج عن ذلك قيام الحكم الاوليجركي، أو حكم الاقلية، وهو نظام الحكم المشترك بين الارستقراطيين والتجار.

د- مرحلة ايسخيلوس

ظلت البلاد تحكم عن طريق النظام الاوليجركي لفترة، ولما كان هذا الحكم قائما هو الاخر على أساس طبقي، فانه سرعان ما انهار، وساد البلاد لفترة حكم جديد هي فترة حكم الطغاة، وهي فترة كان أهم ما يميزها الحكم الفردي والقضاء على الحرية السياسية للشعب، لهذا السبب ظهرت الحرية كقيمة أولى ودعامة أساسية من دعائم الفكر السياسي الذي يمكن أن نلحظه من أدبيات القرن الخامس ق.م، ومنها مسرحيات الشاعر ايسخيلوس، والحرية التي يشير اليها الشاعر المسرحي هي الحرية الجماعية للشعب، وهي المردود الأول والمباشر لفترة الكبت السياسي والاستبداد التي شهدتها البلاد في مرحلة حكم الطغاة، أي أن الحرية هنا ليست حرية الفرد أو حرية الطبقة، ولكنها تلك الحرية التي تحافظ على مصالح وأهداف المجتمع بأكمله دون أن ينجح حاكم أو شخص في النيل منها أو تحويلها لصالحه أو لصالح لطبقته.

هـ- مرحلة هيرودوت

استمر التطور الديمقراطي خلال القرن الخامس ق.م، وبعد ظهور ايسخيلوس وأفكاره، وظهر في هذه الفترة هيرودوت الذي كان واحدا من أشهر المثقفين والمفكرين في المجتمع الأثيني، وكتب في االتاريخ ووصف أحوال الشعوب التي زارها، وأورد أفكاره وأراؤه في الفكر السياسي من خلال كتبه هذه.

ويقارن هيرودوت بين الحكم الفردي وحكم الأقلية والحكم الشعبي، ويعبر عن الكراهية الشديدة للحكم الفردي، ويقول أن المساواة هي الأساس الأول لنظم الحكم، وهي أيضا أولى مقومات الدولة، كما يجب أيضا من وجهة نظره إتاحة الفرصة المتكافئة أمام كل المواطنين للتعبير عن أرائهم وحماية حرية الكلمة.

و- مرحلة اكسينوفون

كان اكسينوفون قائدا عسكريا فى النصف الأول من القرن الرابع ق.م، وله كتب فى التاريخ والسياسة والاقتصاد، وقد تأثرت أفكاره السياسية بنشأته كقائد عسكرى، ولذلك نراه يضع الانضباط على رأس القيم التى يقوم عليها الفكر السياسى، بل ويعتبره الأساس الأول لتنظيم الدولة.

ويمكن تحديد ملامح الفكر السياسى لدى اكسينوفون فى النظام الاخلاقى الصارم، وفردية نظام الحكم، وضرورة التزام المواطنين بالطاعة، وضرورة تمتع الحاكم بشخصية قوية قادرة على الاقناع دون استخدام القوة والارهاب، كما يجب أن يكون معاونوا الحاكم من أهل الثقة وذوى الصفات الشبيهة بصفات هذا الحاكم.

ز- مرحلة أفلاطون

أفلاطون هو ذلك الفيلسوف الأثينى الذى عاش بين أواخر القرن الخامس ومنتصف القرن الرابع ق.م، وهو أكثر من كتب فى الفكر السياسى، وقد تأثرت اراؤه بالنشأة الارستقراطية التى نشأ عليها، كما تأثرت أيضا بالحالة التى كانت عليها مدينة أثينا فى أعقاب هزيمة "ايجوسبوتامى" أمام اسبرطة فى نهاية الحروب البلوبونيزية، وانهيار النظام الشعبى الديمقراطى بعد أن بلغ أوجه خلال القرن الخامس ق.م.

وينادى أفلاطون من خلال أعماله الشهيرة: الجمهورية- السياسى- القوانين بعدة مقومات للدولة، أولى هذه المقومات هى " التخصص"، أى أن المجتمع بأكمله يجب أن يخضع للتثقيف، وكل مرحلة يتوقف عندها المواطن تؤهله لعمل وطبقة جديدة، ويكون المواطن الذى يصل إلى أعلى الدرجات هو الفيلسوف أو المثقف، وهو الشخص المؤهل لقيادة البلاد وادراة شئونها.

وتصل أفكار أفلاطون السياسية إلى طرح قضية أو فكرة نظام الحكم المختلط، وهو ذلك النظام الذى يضم عناصر من الحكم الفردى وحكم الأقلية

والحكم الشعبى، على أن تكون السيادة الأولى للقانون، ويجب أن تنفذ بنود القانون بالاقناع وليس بالتعسف.

ح- مرحلة أرسطو

أرسطو هو أحد تلاميذ افلاطون، وينتمى إلى القرن الرابع ق.م، وهو آخر من عاصر نظام دولة المدينة من كبار مفكرى وفلاسفة اليونان.

وعلى الرغم من أنه كان تلميذا لأفلاطون، فانه لم يرتبط به فكريا، ولعل العامل المؤثر فى ذلك أنه كان ينتمى إلى الطبقة الوسطى وليس الارستقراطية كما كان أفلاطون.

وقد استفاد أرسطو من انتمائه الطبقى فى الاحتكاك بكل الطبقات مما أدى إلى واقعية أفكاره وابتعادها عن مثاليات أفلاطون.

ويرى أرسطو أن النظم السياسية سواء الفردية أو الأقلية أو الشعبية لا يمتاز احدها عن الأخر إلا بمعيار التطبيق، أى أن كل نظام يعد نظاما صالحا لو تم تنفيذه بشكل جيد، ويعد نظاما سيئا لو مورس بطريقة سيئة، هذا إلى جانب أن كل مجتمع له ظروف خاصة به، وتلك الظروف هى التى تحتم اختيار نظام الحكم المناسب للمجتمع، مع امكانية وجود نظام مكون من عناصر مختلفة من بين هذه النظم جميعها.

ويرى أرسطو فى نهاية الأمر أن الوسطية هى الحل الأمثل وصولا لاستقرار المجتمع، وبذلك يكون النظام الذى يمثل التوازن بين هذه النظم الثلاثة هو أفضل النظم السياسية.

(٣) أنظر: د/ لطفى عبد الوهاب يحيى - اليونان

الفلسفة والعلوم

لم يكن ظهور الفلسفة والعلوم فى المجتمع اليونانى على يد أفراد من الفلاسفة بقدر ما كان فى صورة العديد من المدراس الفلسفية التى حمل لؤاها الفلاسفة والمفكرون، ونتج عن كل منها العديد من الأفكار الفلسفية والعلمية.

ويمكن أن نميز بين هذه المدارس الفلسفية " مدرسة ميليتوس" التى كان ينتمى اليها كل من " طاليس " و" انيكسماندر "، وكذلك المدارس الأخرى التى ظهرت فى القرن السادس ق.م فى شتى المدن اليونانية سواء فى بلاد اليونان الأصلية أو فى جنوب ايطاليا، حيث ظهر عالم الرياضيات الشهير " فيثاغوراث "، والذى ربط بين الفلسفة والرياضيات، وكان أول من وضع حقائق الحياة فى صورة معادلات رياضية.

واذا انتقلنا إلى القرن الخامس ق.م فسوف نجد " هيراكليتيس " الى ظهر فى مدينة السوس فى مطلع هذا القرن، وهو صاحب نظرية التغير المستمر فى الكون، وأن أساس هذا الكون هو التفاعل، وأن صور هذا التفاعل هى الانماط الطبيعية التى نجدها حولنا مثل الأنهار والأرض والمطر.

وفى منتصف القرن الخامس ق.م ظهر فيلسوف آخر هو " امبدوكليس " فى جزيرة صقلية، وله آراء حول طبيعة العالم أوردها فى فلسفته، ويرى أن الكون يتكون من اتحاد عناصر أربعة هى الماء والهواء والنار والتراب.

وقد بدأ التمايز بين العلم والفلسفة بداية من القرن الخامس ق.م، وذلك فى الفترة التى بدأت فيها أثينا فى الاهتمام بالتوسع السياسى والتجارى، وازدادت اهتمامات المواطنين السياسة والاقتصادية، وأدى هذا الوضع إلى ظهور طائفة من الفلاسفة تحترف تعليم المواطنين شئون السياسة وتدريبهم على الخطابة، وهى طائفة السوفسطائيين، وقد تميز هؤلاء الفلاسفة بجنوحهم إلى التعليم أكثر من الفلسفة.

وسوف نتناول فيما يلى أهم الفلاسفة الذين ظهروا فى بلاد اليونان فى الفترة ما بين القرن الخامس والرابع ق.م.

سقراط

ولد فى الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م، وهى الفترة التى شهدت انتصار المدن اليونانية بقيادة أثينا على الفرس، وبداية تكوين الامبراطورية الأثينية، وزعامة أثينا السياسية والعسكرية للمدن اليونانية فى ظل حلف ديلوس.

شهدت أثينا فى هذه الفترة ازدهارا كبيرا فى الأداب والفنون والفلسفة، وكان سقراط واحدا من الفلاسفة الذين أسهموا بقدر كبير فى الفلسفة اليونانية فى ذلك الوقت، وقد امتاز سقراط عمن سواه من الفلاسفة بشخصية فريدة ، وكان أكثر من استخدم اسلوب الحوار وصولا إلى الحقائق التى يهدف اليها، وامتاز أيضا بالابتعاد عن السبل التقليدية فى الوصول إلى الحقيقة، كما أنه لم يكن يلتزم بأسلوب واحد فى تلقين المجتمع الأثينى أصول فلسفته.

كان سقراط يعتمد بشكل أساسى على ادعاء الجهل، ويبدأ فى اقامة حوار مع أى شخص انطلاقا من فرضية الجهل هذه، ثم يمضى فى الحوار حتى يكشف لمن يحاوره عن جهله، ثم يبدأ بعد ذلك فى وضع الأفكار الصحيحة أمامه بعد أن يصل به إلى التعريف الصحيح للأمر الذى يحاوره بشأنه.

وأيا كان أمر سقراط، فان المجتمع الأثينى فى هذه الفترة لم يكن مهيئا لتقبل هذا الاسلوب، واعتبره الساسة والحكام اخلالا بالقيم والمعتقدات الثابته فى المجتمع، واعتبروا أن محاورات سقراط واسلوبه هذا يعد تخريبا لعقول الشباب، وهكذا حوكم سقراط بهذ التهمة، وادين، وحكم عليه بالاعدام.

ورغم الظلم الذى أوقعه المجتمع الأثينى بساحة هذا الفيلسوف، فانه قد رفض حتى آخر لحظة من حياته أن يخرج عن شرعية هذا المجتمع، وفضل أن يموت

بحكم ظالم على أن يهرب من سجنة بمساعدة تلاميذه كما عرضوا عليه، وقد تم اعدام سقراط فى العام الأول من القرن الرابع ق.م

أفلاطون

رغم اختلاف الوضع بين سقراط وأفلاطون،ووجود تراث مكتوب خلفه أفلاطون وراءه من الأفكار الفلسفية فى شكل محاورات على العكس من سقراط الذى لم يخلف مثل هذا التراث، ورغم أهمية أفكار أفلاطون ومحاوراته وفلسفته، فان هذه الافكار والفلسفة تميزت بالازدواج والتعارض مع العلم.

وقد احتفظ تلاميذ أفلاطون بأصول مدرسته الفلسفية، ولكنهم عجزوا عن الاضافة لهذه الفلسفة أو الأفكار التى تتضمنها وتطويرها، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن فلسفة أفلاطون كانت تقوم على الغيبيات، وذلك ما جعل منها فلسفة غير قابلة للتطوير.

ولعل الفرع الوحيد الذى أمكن تطويره بعد ذلك من فروع مدرسة افلاطون الفلسفية هو فرع الرياضيات، فقد كانت الأفكار المتصلة بهذا المجال تتسم بالطابع العلمى مما جعل منها فكرا قابلا للتطوير.

أرسطو

أسس أرسطو " اللوكيوم " بعد أن ترك أكاديمية أفلاطون التى كان أحد تلاميذها، وقد أسس مدرسته هذه فى منتصف القرن الرابع ق.م، وتوصل من خلالها إلى نتائج بارزة فى مجال الفكر التاريخى وعلم الأحياء، واختلف بذلك عن أفلاطون الذى ترك وراءه تراثا غير قابل للتطوير.

وقد امتد تراث مدرسة أرسطو حتى العصر الهلينستى، وتنوعت انجازات مدرسته فى شتى فروع العلم من الطب والتشريح، وحتى قواعد اللغة والموسيقى، ومرورا بالفلك والجغرافيا والرياضيات وغيرها.

وقد كان أرسطو أستاذا ومعلما للاسكندر المقدونـي، وكـان يعمـل فـي بدايـة يومـه بتعليم مجموعـة مـن الطلبـة المنتظمين، ثـم يقـوم فـي نهايـة اليـوم بإلقـاء محاضرات عامة.

وقد استطاع أرسطو أن يضـم إلـى مدرسته مكتبـات ومعـامل ومنـاهج بحـث منظمة، بعد أن كلف بعض أعضاء اللوكيوم بكتابة تاريخ شتى أنواع المعرفة، كـل في تخصصه.

وقد نتج عن مدرسة أرسطو تطورات سريعة وآراء متباينة خاصة بمن كـانوا ينتمون اليها، وكان ذلك نتيجة طبيعية للمنهجية وحرية الفكر التي امتازت بها هـذه المدرسة الفلسفية الكبرى.

التعليم

لم تنل كافة عناصر المجتمع اليونانى حظا متساويا من التعليم، فقد اختلفت تنشأة الذكور عن الاناث فى المجتمع الأثينى، فلقد كان هذا المجتمع يفضل الذكور عن الاناث، وكان العرف يقضى بأن يظل الطفل فى حضانة المرأة سواء كانت الأم أو المربية حتى سن السابعة، ثم يتولى أمره بعد ذلك شخص يسمى "بيداجوجوس"، وهو من طبقة العبيد، ومعنى اسمه " القائم على ارشاد الغلام"، ومهمته أن يصحب الطفل فى رحلة الذهاب والعودة من المدرسة، كما كان يقوم بمراقبة أفعاله وتصرفاته.

أما الأنثى فانها كانت تبدأ فى الانفصال عن الاطفال الذكور من سن السابعة، ويكون عليها فى هذه السن أن تبقى فى المنزل ولا تغادره بمفردها، وتبدأ فى هذه السن عملية اعداد انثوى لتولى وظيفتها الأساسية كزوجة وربة بيت.

وقد كان التعليم قاصرا على الذكور فقط، ويقتصر تعليم الاناث على الخطوات الاجتماعية التى تقوم بها الأم أو المربية وتعليمهن الطهى والحياكة ورعاية الأطفال والاشراف على المنزل وادارته، وهى المهام الأساسية للمرأة فى المجتمع الأثينى فى ذلك الوقت.

وعلى الرغم من عدم وجود نظام تعليمى تابع للدولة فيما عدا التدريبات العسكرية والبدنية، فان الطفل الذكر كان يتلقى نوعا من التعليم المنتظم فى مراحل عديدة، وكانت هذه المراحل تبدأ بتعلم القراءة والكتابة على الشمع، ثم البردى، ثم التدرج بعد ذلك إلى قراءة الشعر وخاصة ملاحم هوميروس، وحين يصل الطفل إلى سن الثالثة عشر ، يبدأ فى تلقى دروس الموسيقى والشعر الغنائى.

إلى جانب هذا النوع من التعليم، كان هناك اعداد بدنى للطفل الأثينى، وذلك من خلال تدريبات وممارسة الألعاب الرياضية المختلفة، مثل المصارعة والرمح والسباحة، ويستمر الطفل فى هذه المراحل حتى يصل إلى سن السابعة عشرة بالنسبة للإعداد الثقافى، والثامنة عشرة بالنسبة للإعداد البدنى، وفى هذه السن يصل إلى مرحلة الخدمة العسكرية، ثم يصبح الشاب مراطنا كامل الأهلية حين يصل إلى سن العشرين، ويصبح عضوا فى الجمعية الشعبية، وينضم إلى صفوف الجيش، ويكون له الخيار فى هذه السن فى أن يكمل تعليمه أو يتوقف عند هذ الحد.

وعلى الرغم من أن التعليم فى أثينا كان يجمع بين الشق البدنى والثقافى، إلا أن هذا التطبيق العملى لهذا التعليم كان يفتقر إلى التوازن بين هذين الجانبين، فقد كان الاهتمام الأكبر منصبا على الاعداد البدنى للشباب، وكانت الرياضة البدنية أكثر أهمية من البرامج الثقافية الأخرى التى كان الشاب يقوم بدراستها.

وجدير بالذكر أن البرامج التعليمية والثقافية المشار اليها لم تكن تؤهل الشاب لوظائف معينة، وانما كان الهدف منها الحصول على المعلومات الثقافية الاساسية، أما الهدف الأول من التعليم فهو التدريب على الرياضة البدنية والاخلاقية، وكذلك الحال بالنسبة للأنثى التى كا يتم اعدادها أيضا عن طريق التدريبات التى تتلقاها فى المنزل استعداد للقيام بدورها كزوجة وأم وربة أسرة.

كان المجتمع الأثينى إذن يقوم بممارسة نوع من أنواع التعليم الموجه، وذلك لاعداد كل من الرجل والمرأة لتولى المهام الخاصة بكل منهما فى المجتمع الأثينى، ويخرج التعليم على هذا الوضع من الإطار المثالى إلى دائرة الواقعية.

اختلف الوضع فى اسبرطة عنه فى أثينا بالنسبة للتعليم، فقد كان نظام التعليم الاسبرطى يهدف فى المقام الأول بل الأخير إلى خلق جندى قادر على الدفاع عن المدينة فى الداخل والخارج، وكان المجتمع الاسبرطى يبدأ فى اعداد هذا الجندى المنشود منذ لحظة ميلاده، حيث كان يقوم بفحص لكل المواليد ، يتم على أساسه

الاحتفاظ بالاطفال الاصحاء والتخلص من الأطفال ضعاف البنية أو المرضى بالقائهم فى العراء، وكان الطفل السليم يترك لتتم تربيته بمعرفة أسرته حتى سن السابعة، ثم تقوم الأسرة بعد ذلك بتسليم الطفل للدولة، وتقوم الدولة بتدريب الأطفال على الانتماء والاخلاص للمدينة، والطاعة العمياء، والتدريبات العسكرية والرياضية، وكان هذا النوع من التعليم يشمل الذكور والاناث معا، وتظل الفتيات فى هذ المعسكرات المختلطة والتدريب المشترك ويسمح لهن بالاختلاط بالشبان إلى أن يتم زواجهن.

وقد نجح النظام الاسبرطى فى خلق جنود أكفاء أقوياء، ولكنه على الجانب الأخر فشل فشلا ذريعا فى تكوين شخصية سوية لمواطنيه، فقد كانت الغالبية العظمى من الاسبرطيين تعانى من الأمية الثقافية ولا يعرفون مبادىء القراءة والكتابة نتيجة لاعدادهم بدنيا وعسكريا دون أن يصاحب ذلك اعداد ثقافى وفكرى.

الأدب اليونانى

أ- شعر الملاحم

الشعر الملحمى هو نوع من الشعر امتاز عمن سواه بانه كان يتلى على السامعين سواء فى القصور أو المنازل أو أى مكان آخر، ولم يكن ينشد مثل الشعر الغنائى، أو يتخذ شكلا دراميا مثل الشعر المسرحى، ويعد هوميروس هو رائد هذا الفن، كما تعد الالياذة والاوديسية أشهر ما عرفناه من شعر الملاحم.

وتروى الملحمتان قصة حرب طروادة، حيث تتناول الالياذة قصة هذ الحرب من خلال غضب اخيليوس القائد العسكرى اليونانى وخلافه مع أجاممنون قائد جيوش اليونان، وتتطرق إلى قصة بداية هذه الحرب بسبب اختطاف ابن ملك طروادة باريس لهيلين زوجة منيلاوس حاكم اسبرطة وشقيق أجاممنون، وذهابه بها إلى طروادة.

أما الاوديسية فتتناول قصة عودة اوديسيوس أحد أبطال اليونان بعد نهاية الحرب وما لاقاه من أهوال فى طريق العودة، وصراعه بعد ذلك مع أمراء اثاكة الطامعين فى عرشه وزوجته.

هذا عن الملحمتين. أما الشاعر فهو محل خلاف شديد بين العلماء بداية من وجوده ومرورا بعصره وانتهاءا بصحة نسب الملحمتين اليه.

والمتعارف عليه هو أن عصر هوميروس يقع بين وسط القرن الحادى عشر ق.م وحتى أواسط القرن التاسع ق.م، وأنه قد ظهر فى أوسكنا أو خيوس، وأن

الملحمتين قد ظهرتا فى سواحل أسيا الصغرى، حيث أن اللهجة فيهما هى اللهجة الأيونية مع مزيج من عناصر اللهجات اليونانية الأخرى.

وقد تم جمع الملحمتين فى القرن السادس ق.م فى عصر بيزاستراتوس الطاغية الأثينى، وقد تمت مراجعتهما بدقة فى العصر السكندرى على يد علماء الاسكندرية وقد حفظتا فى مكتبتها الشهيرة، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن لا يزال الغموض يكتنف المسألة الهوميرية برمتها، وإن كان من الممكن القول أن الملحمتين تنتميان إلى شاعر واحد، وقد تم جمعهما ببعض الاضافات من جانب القائمين بعملية الجمع، أما القطع بأى شىء يتصل بهوميروس ذاته، فهو أمر خلافى حتى عصرنا هذا.

الشاعر الملحمى الثانى هو هسيودوس، ويرجع تايخه إلى القرن التاسع ق.م، وكان يعمل بالزراعة فى أسكرا بالقرب من بوؤتيا، وأهم أعماله " الأعمال والأيام"، والتى تضم مجموعة من الأراء فى الزراعة والأخلاق والدين وتعد من الشعر التعليمى، وملحمة اخرى هى " أنساب الألهة وسلالاتهم".

ب- الشعر الغنائى

ويتضمن هذا النوع أشعارا متعددة منها الشعر الحماسى وأشعار الغزل وأشعار الرثاء وغيرها، وقد ظهر هذا النوع من الشعر فى القرن السابع ق.م، وكان " أرخيلوخوس " أشهر شعراء الهجاء، بينما كان الشعر الغنائى ممثلا فى "سافو والكايرس وبندار"، وانقسم إلى مدرستين احدهما المدرسة الأيولية والأخرى الدورية.

ج- التاريخ

تأخر ظهور النثر فى اليونان عن ظهور الشعر، وكانت المحاولات الأولى فى هذا المجال عبارة عن مزيج من تجميع المعلومات فى الجغرافيا ـ التاريخ، ثم

ظهرت بعد ذ ك كتابات متقدمة فى الاسلوب والتكنيك على يد مجموعة من الكتاب أهمهم:

هيرودوت

وهو أول مؤرخ شهير فى التاريخ اليونان، وقد ولد فى القرن الخامس ق.م ٤٨٤ فى مدينة هاليكارناسوس، وكتب أعماله باللهجة الأيونية، وأقام فى أثينا فترة من حياته، وقضى فترات من حياته فى الأسفار التى أفادته فى جمع مادة كتابه فى التاريخ.

وكتاب هيرودوت ينقسم إلى تسعة أجزاء، الخمسة الأولى منها تدور حول الامبراطورية الفارسية، والأجزاء الأخرى تدور حول اليونان والفرس.

ورغم اخلاص هيرودوت فى الأعمال التى تناولها إلا أن جهله باللغات الخاصة بالبلدان الأخرى، وطول الفترة التاريخية التى تناولها واعتماده على المعتقدات الدينية الخاصة بها، تعد مسئولة عن أى قصور قد ينتاب هذا العمل، ورغم كل هذا فان هيرودوت يعد واحدا من أعظم مؤرخى عصره حتى أنه لقب بأبى التاريخ.

ثوكيديديس

ولد سنة ٤٧٠ ق.م، وحضر حروب البلوبونيز، وجمع مادة تاريخها، ويعد من المؤرخين ذوى الاسلوب الفلسفى ويمتاز بالموضوعية وصدق الأحداث التى يرويها والبعد الفلسفى الذى يضمنه كتاباته، وقد كتب تاريخ الحروب البلوبونيزية فى ثمانية أجزاء.

اكسينوفون

ولد سنة ٤٣٠ ق.م فى أثينـا، وكـان تلميذا لسقراط، كما عمل مرتزقا فى جيوش الفرس، وحارب أيضا مع اسبرطة ضد أثينا وطيبة، أهم أعماله هى "الأناباسيس" و" الهلينيكا"، ويقع الكتاب الأول فى سبعة أجزاء، ويدور حول كورش وتوغله للداخل، ويمتاز بالبساطة فى الاسلوب والابتعاد عن التكلف، ويروى تفاصيل هامة عن البلاد التى مر الجيش بها.

وله كتب أخرى ذات طابع قريب من الفلسفة منها كتاب "ذكريات سقراط" وكتاب عن " تربية كورش".

أرسطو

رغم أن أرسطو لم يكن مؤرخا، إلا أن كتابه عن النظام الأثينى يوضع فى مصاف كتب التاريخ اليونانى، حيث يتناول نظم الحكم الأثينية وتاريخها حتى ظهور الديمقراطية ثم عودتها سنة ٤٠٣ ق.م، ويتناول بالتفصيل النظام القائم فى أواخر القرن الرابع ق.م.

د- الفلسفة

ظهرت أولى المدارس الفلسفية اليونانية فى مدينة ميليتوس فى القرن السادس ق.م، حيث بدأ طاليس بإفتراض أن الماء هو أصل العالم، ثم انكسيمانس الذى قال بان الهواء هو أصل الكون، كما ظهر اناكسمندريس الذى قال بأن الكون هو شىء لامحدود ولانهائى، كما ظهرت المدرسة الايلية جنوب يطاليا ومؤسسها اكسينوفانيس الذى نادى بالتوحيد وقال بان تعدد الألهة أمر من اختراع البشر.

وفى القرن الخامس ق.م ظهر هيراكليتس فى آسيا الصغرى، وقال بان الكون أصله النار وقرر أن الحركة هى أمر لا متناه، ثم ظهر امبيدوكليس الذى قال بأن أصل العالم هو العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والتراب، وأشار إلى النظرية الذرية للمرة الأولى.

كما ظهر فى أثينا ليوكيبوس وديمقريطيس وأضافا للنظرية الذرية أن قوة الجذب الميكانيكية تخلق الأشياء المرئية من الذرات.

وظهر فى القرن الخامس السوفسطائيون وهم من المفكرين الذين يعملون لحساب الغير مقابل أجر، وركزوا دراساتهم على الانسان والمجتمع، ونادوا بان الانسان هو مقياس كل شيء، وأشهرهم بروتاجوراس وهيبوداموس.

الدين الاغريقي

لم تشهد بلاد اليونان نظاما دينيا موحدا، وانما كان لكل مدينة ديانة وطقوس خاصة بها، ورغم ذلك فان الاعياد الدينية الكبرى كانت مناسبة للشعور بالوحدة الدينية حيث كان اليونانيون يجتمعون حول اله واحد.

وقد كان للشعر دور كبير فى خلق العقائد الدينية لدى الشعب الاغريقى، حيث صور هوميروس فى الالياذة والاوديسية الألهة فى صورة البشر، كما ابتكر هسيودوس انسابا للألهة فى ملحمته المسماه بنفس الاسم، وكذلك ساهم النحت والتصوير فى تصوير الآلهة واعطائهم الصورة البشرية المرئية.

وقد عرف اليونانيون فى تاريخهم القديم مجموعة من الآلهة، أهمهم ما يلى:

زيوس

كبير الآلهة وسيد الآلهة والبشر، وموطنه الأصلى جبل الأوليمب، وكان المسئول عن النظام الاخلاقى والسياسى والاجتماعى.

هيرا

زوجة زيوس والمسئولة عن حياة النساء، وأشهر مراكزها فى أرجوس واسبرطة وساموس.

أثينا

وتعد من بنات زيوس، وينسب اليها حراسة مدينة أثينا، وأنها الهة الفنون والعلوم العامة.

أبوللو

وهو إله الضوء والشباب والموسيقى والتطهر من الذنوب،ومصدر النبؤة، ويقترن اسمه بديلوس التى تعتبر محل مولده، أما معبده الشهير فى دلفى فكان مركزا للوحدة الدينية والسياسية.

أرتيميس

وهى توأم أبوللو، ويتجسد فيها الجمال المثالى للعذارى، وهى أيضا ربة الطبيعة والصيد، واقترن اسمها بالقمر.

هيرميس

رسول الآلهة، وإله التجارة والنصيب والكنز الدفين، وقائد الروح فى رحلتها الأخيرة إلى العالم السفلى.

ديونيسيوس

إله الثمر والكروم والخمر والمسرح، ويقترن اسمه ورواياته بمدينة طيبة.

بوسيدون

إله البحار والينابيع والأنهار، وهو من يحمل الأرض ويهزها وقت الزلازل، وإله الخيل، وأهم مراكز عبادته خليج كورينثة.

أفروديتي

الهة الحب والجمال، وتروى الأساطير أنها قد ولدت من زبد البحر، ظهرت بجوار قبرص، وقد طرأ تغيير فى عبادتها نتيجة المؤثرات الشرقية.

هيفايستوس

إله النار البركانية والصناعية، وأهم مراكزه فى جزيرة ليمنوس، وكان يصور كرجل أعرج بسبب سقوطه من السماء على هذه الجزيرة.

أريس

إله الحرب والوباء، وأهم مراكز عبادته فى طيبة وتراقيا، وكان الاغريق يعتقدون أنه أجنبى.

هستيا

شقيقة زيوس التى رفضت الزواج من أبوللو أو بوسيدون وهى الهة الموقد فى الأسرة والمدينة، وكانت لها حصة فى كل القرابين.

ديميتر وبيرسيفونى

وتظهران فى صورة الأم والابنة، وكانت ديميتر الهة الحبوب والزواج، وبيرسيفونى قرينة بلوتو، وملكة العالم السفلى.

إلى جانب هؤلاء الألهة كان هناك العديد من الألهة الثانوية منها الألهة التابعة وألهة الريف وألهة البحار، إلى جانب الابطال الذين يعدون من أنصاف الألهة حيث أنهم اصلا من البشر ثم أضفى عليهم الناس صفة الألهة، مثل هيراكليس.

رجال الدين

كانوا يمثلون مجموعة من الكهنة، وكانت الكهانة تنحصر فى الغالب فى نطاق أسرة معينة، ولم يكن الكهنة يمثلون طبقة خاصة فى المجتمع، ولكنهم كانوا ممن يتميزون بالخبرة فى الشئون الدينية أو العامة.

المعابد

كان المعبد المخصص للألهة ينقسم إلى جزئين رئيسيين، الحرم، ويضم مذبحين للقرابين، ومزار يحتوى على صور الألهة، ورواق أمامى وغرفة خلفية مخصصة لتخزين المهمات. وكان المصلون يجتمعون فى الفناء أو الحرم الخارجى، وكان للمعابد فى بعض الأحيان أموال وعبيد وأراض تديرها الدولة.

الطقوس

أهم الطقوس هى تقديم القرابين والصلاة، وكان تقديم القرابين يتم بعد أن يرتدى الكاهن وأتباعه الثياب الرسمية ويضعون فوق رؤسهم الأكاليل، ثم يستقبلون بعد ذلك أصحاب الاكرابين، ويتطهر الحاضرون بالماء المقدس، ويلتزم كل الحاضرين بالصمت التام بناء على أوامر الكاهن ثم تتم تلاوة الصلاة، ويؤخذ الحيوان إلى المذبح، ويتم رش المذبح بدمائه ثم يتم سلخه وتقطيعه وفحص الأمعاء الداخلية للحصول على التكهن، ثم تحرق الأجزاء المخصصة للألهة على المذبح، ويتم تقديم الباقى إلى أتباع وخدم المعبد.

أما الصلاة فكان الاغريق يؤدونها واقفين، ويطلبون فيها البركة المادية ويرفعون أثناءها أيديهم إلى السماء، وتتم عادة بصوت مرتفع عدا فى حالة الخوف أو الحرب.

التكهن

الغرض منه معرفة ارادة ومشيئة الألهة فى شئون المدينة الحاضرة والمستقبلية، وأهم معابد الوحى هى معابد زيوس فى دودونا ومعابد أبوللو فى دلفى.

وكانت المزارات تتم تحت اشراف الكهنة والكاهنات، والاجابة تأتى من حفيف الأشجار والرياح ثم يتم بعد ذلك استخدام الأوانى البرونزية لهذا الغرض.

كما كانت هناك طقوس تمهيدية قبل النبؤة منها الشرب من الينبوع المقدس والجلوس على مقعد بثلاث أرجل.

الأعياد الدينية

كانت لها أهمية كبرى فى تاريخ الاغريق، وكانت تختلف وفقاً لصفة الرئيسية المميزة لها، وأهم هذه الأعياد هى " أعياد الباناثينايا" التى كان يتم الاحتفال بها فـى العام الثالث من كل اوليمبياد، وتشمل العابا رياضيـة وموسيقية ومسابقات للشـعلة والزوارق، والمسيرة المقدسة إلى الاكروبوليس حيث يتم اهداء الثوب المقدس إلـى معبد الألهة أثينا.

وهناك أيضا "أعياد الأفيكتونى" التى يحضرها العديد من الدويـلات المجـاورة وذلك لتكريم الألهة مثل أبوللو فى ديلوس ودلفى.

وهناك أعياد كان يحضرها كل اليونانيين مثل أعياد "اوليمبيا" و" أعياد نيميـا" و"أعياد استيميا"، وقد أقيمت أعياد اوليمبيا بصفة مستمرة منذ سـنة ٧٧٦ق.م والتـى اعتبرت بداية التاريخ الاغريقى.

الفن

العمارة

حتى نهاية العصر الكلاسيكي لم تعرف اليونان تخطيط المدن، وكان الوضع الشائع هو النمو العشوائي حسب مقتضيات الأمور، وكانت المدن ذات أسوار قوية ولكنها لا تتخذ شكلا هندسيا منتظما، وكانت الطرق بعيدة عن الاستقامة والتنظيم الدقيق.

وقد كانت هناك استثناءات قليلة في هذه الفترة مثل مدينة اولينثوس شمالي بحر ايجة، والتي كانت مقامة على أساس التخطيط الهندسي المنتظم في القرن الخامس ق.م، وكذلك المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى.

وقد ساهم في غياب عنصر التخطيط في المدن اليونانية، أن هذه المدن قد تطورت أصلا من القبائل والتجمعات السكانية، وكان من الطبيعي أن تتخذ كل قبيلة أو جماعة مكانا معينا دون التنسيق مع الباقيين، هذا بالاضافة إلى وعورة تضاريس بلاد اليونان وكثرة التكوينات الصخرية المتعرجة مما يعوق ايجاد طرق مستوية ومستقيمة.

وقد استخدم الاغريق الاحجار في البناء في العصر الموكيني، وذلك في بناء القصور والمنشآت العامة، وقد توقف البناء على هذا النحو أثناء الغزو الدوري ثم عاد مرة أخرى في القرن الثامن ق.م، وتطور في القرن السادس إلى استخدام الكتل الحجرية المنتظمة، وعلى الرغم من أن بعض العلماء يرجحون أن الاغريق قد نقلوا أساس فنهم المعماري من مصر، إلا أن الطرز المعمارية اليونانية قد اختلفت عن مثيلاتها في مصر وخاصة في الابتعاد عن الأبعاد الشاسعة التي كانت شائعة

فى العمـارة المصرية، وكذلك الابتعاد عن كثرة التفاصيل وخاصة فى عمارة المعابد.

وتعد الأعمدة أبرز ملامح عمارة المعابد فى بلاد اليونان، وكان طراز الأعمدة هو الذى يحدد الملامح الاساسية لكل معبد، وظهرت فى اليونان ثلاثة طرز من الأعمدة هى الطراز الدورى الذى يتميز برأس مربع دون زخرفة، ثم الطراز الأيونى الى يتميز برأس ممتد من الناحيتين بشكل التواء نهايته ملتفة بقدر متساو من الناحيتين، ثم الطراز الكورينثى الذى يتميز برأس ذى نحت من أوراق نبات الأكانثوس.

أما فيما يتعلق بالمبانى العامة، فقد كان معظمها مستطيل الشكل، وبعضها دائرى وأهم أمثلة البناء الدائرى المسارح التى كان يتسع بعضها لحوالى ٣٠ الف شخص، وأهمها مسرح ابيداوروس ومسرح السوس.

النحت

أهم الملامح التى تميز النحت اليونانى عن نظيره فى الحضارات الأخرى هى ظاهرة العرى، فقد امتاز الفن اليونانى بالتماثيل العارية التى كانت انعكاسا للعادات والممارسات اليونانية فى هذه العصور، ونقصد بذلك المباريات الرياضية التى كانت تتم بين أشخاص عاريين تماما، وقد ظل هذا النحت العارى قاصرا على تصوير الرجال حتى القرن الخامس ق.م، حين ظهرت تماثيل النساء العاريات ولكن دون اظهار كافة التفاصيل، وكذلك تماثيل الآلهة من الاناث والتى تصورهن مرتديات لملابسهن فيما عدا أفروديتى.

وامتاز النحت اليونانى أيضا بالصراحة المطلقة فى التعبير دون اللجوء إلى الرمزية، فصور الشذوذ الجنسى بين الرجال حتى لو كان أحد طرفيه من الألهة مثلما حدث فى تصوير زيوس والطفل جانيميديس.

وإلى جانب ذلك نجد هناك تداخلا بين النحت والعمارة، حيث كانت جمالونات المعابد والأفاريز تمتلىء بالنحت البارز وشبه المستدير، وتمثل عنصرا أساسيا من العناصر المعمارية.

وقد شهد النحت اليونانى عدة مراحل تطور خلالها من مرحلة التشابه مع النحت المصرى حيث الوقفة الجامدة والوجه الصارم والتصاق الأيدى بالجسم، وتقديم احدى القدمين على الأخرى، مع محاولة الفنان اليونانى التحلل النسبى من صرامة التمثال المصرى. وتستمر هذه المرحلة حتى القرن الخامس ق.م حيث تبدأ التماثيل اليونانية فى اظهار المزيد من الليونة، وتبدأ مع هذه الفترة المرحلة الثانية من تطور هذا الفن فى بلاد اليونان، ويبدأ المثال اليونانى فى ابراز حركة الجسم والاتجاه نحو تصوير الجسم الرياضى فى شتى أوضاعه. وقد برز فى هذه المرحلة العديد من الفنانين أهمهم " ميرون" من اتيكا، و"هوبوكليتوس" من أرجوس ثم " فيدياس" الأثينى الذى يعد قمة هذه المرحلة من مراحل النحت اليونانى.

المرحلة الثالثة من مراحل تطور النحت اليونانى تأتى فى القرن الرابع ق.م، ويحتفظ فيها الفنان بالمستوى التكنيكى الذى تحقق فى المراحل السابقة، ويتأثرون إلى جانب ذلك بالاحداث السياسية والاجتماعية التى شهدتها البلاد فى هذه الفترة، وتظهر فى أعمالهم الروح الفردية التى تعد من أهم ما يميز المرحلة التالية للحروب البلوبونيزيه، وانهيار نظام دولة المدينة، وأهم فنانى هذه المرحلة "سكوباس" من باروس، و" براكستيليس" من أثينا، و"ليسبوس" فى شمال البلوبونيز.

التصوير

وأهم المجالات التى ظهر فيها هذا الفن هو مجال صور الفريسكو أو الرسم بالالوان على الجص المبلل، ونجد أمثلة لها فى قصر كنوسوس الذى ينتمى للحضارة المينوية، ويظهر فيها التأثير المصرى بوضوح.

وقد بدأ الفن عند اليونان فى مرحلة متأخرة نسبيا، وأهم فنانى هذا المجال هو "بولجنوتوس" الذى ظهر فى القرن الخامس ق.م، وكان من مراطنى جزيرة ثاسوس شمال بحر ايجة، ثم صار مواطنا أثينيا، وقدم رسوما على الفرسكو ورسوما على الخشب والشمع، وكانت موضوعاته مشتقه من الاساطير ومن التاريخ، ونفذها بشكل مثالى وان كان قد افتقد الاحساس بالعمق فى الصور التى قام بتنفيذها نتيجة لعدم استخدام التظليل.

وظهر فى أواخر القرن الخامس ق.م الفنان الأثينى "أبوللودوروس" الذى أدخل فكرة التظليل المتدرج، ثم طور هذه الفكرة فنان أخر معاصر له هو "زيوكس" من مدينة هراكليا.

زخرفة الفخار

يعد هذا الفن من الفنون التى انتشرت فى بلاد اليونان منذ العصور المبكرة، وبقى منها الكثير من الأعمال على العكس من فن التصوير، .ترجع أقدم مخلفات هذا الفن إلى العصر البرونزى المبكر، ويتطور هذا الفن بعد الألف الأولى ق.م وحتى القرن الامن ق.م، ثم تتعدد الصور والطرز بتعدد مدن اليونان، ويبدو واضحا التأثير الشرقى فيها ابتداء من القرن السابع ق.م، أما فى القرن السادس ق.م فيبدأ ظهور نوع جديد من الزخرفة بعيدا عن التأثير الشرقى وهى زخرفة تعتمد على مظاهر الحياة اليومية والأساطير اليونانية، وقد برزت كورينثة على وجه الخصوص فى هذا المجال، ثم توارت الأوانى الكورينثية أمام الأوانى الأثينية فى أواسط القرن السادس ق.م، حيث بلغ هذا الفن ذروته فى أثينا فى هذه الفترة.

وكانت المرحلة الأولى لهذا الفن فى أثينا تتميز بالتكوينات السوداء فوق الأرضية الحمراء، واستمرت حتى نهاية القرن الخامس ق.م، وظهرت آنذاك المرحلة الثانية وهى مرحلة الفخار ذى اللون الأحمر، أو الطريقة الجديدة التى

تميزت بتحديد الخطوط الخارجية للأشكال ثم ملء المساحات الواقعة بين الأشكال باللون الأسود اللامع، وتظهر الأشكال بعد ذلك بلون الفخار الطبيعي.

وقد استمر الفخار الأثيني باللون الأسود أو الأحمر مسيطرا على الاستخدامات في المستوطنات اليونانية طوال القرن الرابع ق.م.

١٠- من تراث المسرح اليونانى

يعد المسرح فى اليونان كما سبق أن ذكرنا أحد أهم الانجازات الحضارية للبلاد فى كل تاريخها. كما أن المسرح اليونانى هو الاساس الفعلى الذى بنى عليه المسرح بالصورة التى نعرفها فى شتى بلاد العالم، وقد شهد المسرح اليونانى- أو بالأحرى المسرح الأثينى- اوج ازدهاره وعظمته خلال القرن الخامس ق.م، حيث شهدت أثينا فى هذه الفترة طفرة حضارية واقتصادية وسياسية، وكانت تقام فيها مهرجانات سنوية تتم فيها عروض المسرح على شكل مسابقات يحضرها كافة المواطنين، ويتم تقديم الجوائز للعروض الفائزة بالمراكز الأولى فى مجال المسرح التراجيدى والكوميدى، بالاضافة للمسرحيات الساتيرية.

ظل عمالقة الشعر المسرحى فى هذه الفترة أيضا، حيث كان هناك كل من ايسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس فى المسرح التراجيدى، واريستوفانيس فى المسرح الكوميدى،وهذا الرباعى هو الذى صنع بحق مجد أثينا فى مجال المسرح، ولا زالت مسرحياتهم تدرس حتى الأن، ويتم نقلها لمختلف لغات العالم، كما يتم بناء أعمال جديدة على الافكار التى تناولتها هذه المسرحيات، ويمكن القول بان المسرح الأثينى قد وصل إلى أقصى مراحل النضج على يد هؤلاء الشعراء وفى القرن الخامس ق.م.

وسوف نتناول فيما يلى أهم الاعمال المسرحية التى وصلت إلينا من هذا الرباعى العظيم من كتاب المسرح فى أثينا.

ايسخيلوس

ولد ايسخيلوس فى الربع الأخير من القرن السادس ق.م (٥٢٥ ق.م) بالقرب من أثينا، وشارك فى الحروب الفارسية، وبدأ فى الكتابة للمسرح منذ بداية القرن

الخامس ق.م، ولم يصلنا من أعماله سوى سبع مسرحيات فقط، وقد تمكن من الحصول على جائزة العمل المسرحي الأول في المهرجانات السنوية ثلاثة عشر مرة.

ومن الانجازات التي ترجع لايسخيلوس في مجال المسرح أنه كان أول من أدخل الممثل الثاني، كما أنه كان أول من اهتم بملابس الممثلين ومدى ملائمتها للأدوار التي يقومون بادائها، واهتم أيضا بخلفية المناظر المسرحية، وازداد في مسرحياته الاهتمام بالحوار والاحداث الدرامية، وقد كانت المسرحيات التي كتبها ايسخيلوس تتخذ من الاساطير منطلقا عاما لها، وتضم إلى جانب ذلك قضايا الأخلاق والدين والمجتمع،وربما قام ايسخيلوس بالتمثيل في المسرحيات اتي كتبها كما يقول بعض المؤرخين.

وقد توفي ايسخيلوس في صقلية أثناء زيارته لها، وفيما يلي عرض للأعمال المسرحيسة التي وصلت الينا من هذا الشاعر المسرحي.

المستجيرات

وتدور حول بنات دناوس الخمسين اللائي فررن إلى أرجوس حتى لا يتزوجن من خمسين أبنا من أبناء ايجيبتوس الذي كان عما لهن، وقد استقبلهن ملك أرجوس وشعبه استقبالا حسنا، ودافعوا عنهن حتى لا يتزوجن رغم ارادتهن.

وهذه المسرحية تعد جزءا من ثلاثية بها مسرحيتان أخريان لم يصلا الينا كاملتين.

وتتم القصة في الجزئين الآخرين بموافقة والد الفتيات على زواجهن من ابناء أخيه ولكنه يأمرهن أن يقتلن الأزواج في ليلة الزفاف، وتقوم الفتيات بذلك ما عدا إحداهن التي تبقى على زوجها حيا لوقوعها في حبه، ويتم عقاب الزوجات قاتلات

أزواجهن فى العالم الاخر والحكم عليهن بان تقوم كل منهن بملء جرة مثقوبة إلى الأبد، وتعالج المسرحية فكرة ارغام المرأة على الزواج وضرورة أن يكون لها رأى فى هذه المسألة.

السبعة ضد طيبة

تدور هذه المسرحية حول الصراع بين أخوين من أبناء أوديب هما ايتوكليس وبولينيكوس حول عرش طيبة، واتفاقهما على أن تولى الحكم بالتناوب عاما بعد أخر، إلا أن ايتوكليس يرفض ترك العرش بعد انقضاء المدة المحددة له، ويقوم بولينيكوس باعداد جيشا لقتال أخيه ويتبارز الأخوان ويقتل كل منهما الآخر، ويرفض كريون الذى آل اليه العرش أن يقوم بدفن بولينيكوس المعتدى، ولما كان هذا الأمر يمثل لعنة للمدينة، فقد قامت انتيجونى شقيقة بولينيكوس بدفنه وتحدى أوامر كريون وتعريض نفسها للعقاب، وقد كانت تسمية المسرحية بهذا الاسم لقيام بولينيكوس باعداد سبعة من قادة جيشه للهجوم على البوابات السبع لطيبة.

الفرس

تتناول هذه المسرحية الحملة الفارسية ضد بلاد اليونان وكيف تمت هزيمة الفرس فى موقعة سلاميس، ثم التنبؤ بهزيمتهم مرة أخرى على لسان شبح داريوس والد اكسركيس بالفعل فى نهاية الأمر.

وتعد هذه المسرحية هى المسرحية الوحيدة فى التراث المسرحى لايسخيلوس التى تبتعد عن الاساطير وتعالج موضوعا من التاريخ الحقيقى.

بروميثيوس مقيدا

تدور هذه المسرحية حول بروميثيوس الذى تضعه الاساطير اليونانية ضمن اسرة الآلهة، وهو الذى ساعد زيوس كبير الآلهة فى بسط سلطانه على قوى الطبيعة، إلا أن زيوس قد صارعدوا له حين رأى أنه قد أصبح نصيرا للبشر، ولابد من تعلم سر النار وتعلم الصناعات والحرف المختلفة، ويبدو أن بروميثيوس فى هذه المسرحية قد تعرض للعذاب على يد هيفايستوس الذى شرع فى دق المسامير فى يديه وصلبه على إحدى الصخور، ويحاول أعضاء الكورس فى هذه المسرحية إثناءه عن عناده حتى يتفادى العقاب إلا أنه يرفض ويتمسك بموقفه، وفى نهاية المسرحية يتم القاؤه فى هوة سحيقة لعقابه على مناصرته للانسان ضد رغبة كبير الآلهة.

الاوريستيا

وتتكون من ثلاث مسرحيات هى أجاممنون- حاملات القرابين- آلهات الانتقام، وتتناول المسرحية الأولى عودة أجاممنون القائد اليونانى بعد أنتصاره على طروادة، ويصطحب معه إحدى السبايا وهى كاسندرا، ويطلب من زوجته كليتمنسترا أن ترحب بهذه المرأة، إلا أن كاسندرا التى منحها أبوللو القدرة على معرفة الغيب تتنبأ بانها سوف تقتل هى وأجاممنون نفسه على يد كليتمنسترا وعشيقها، وهو الذى . رف ، يتراى الحرش بد، تقتل أجا. نون

وفى المسرحية الثانية- حاملات القرابين- يعود أوريستيس ابن أجامنون من المنفى بصحبة أحد أصدقائه للانتقام لمقتل أبيه، وتساعده فى ذلك شقيقته اليكترا، فيدخل إلى القصر عن طريق الحيلة، ويقوم بقتل الأم وعشيقها، وذلك بعد قيامه بتقديم القرابين على قبر ابيه والتعهد بالانتقام ممن قاموا بقتله.

أما الجزء الثالث من هذه الثلاثية، وهى مسرحية "ربات الانتقام" فانه يدور حول آلهات الانتقام اللاتى يلاحقن اوريستيس للثأر من قتله أمه، ويطلب اوريستيس من الإله أبوللو أن يعفو عنه، فيأمره الإله أن يذهب إلى أثينا للنظر فى أمره، وهناك يقف أوريستيس أمام محمة الاريوباجوس، حيث تقوم الإلهة أثينا بسماع أقوال ربات الانتقام وأقوال اوريستيس، وعند أصدار الحكم تتساوى كفة الادانة مع كفة التبرئة وتصوت الإلهة أثينا فى صف اوريستيس فيصدر الحكم ببرائته.

سوفوكليس

ولد فى كولون بالقرب من أثينا فى بداية القرن الخامس ق.م عام ٤٩٧ ق.م، وقد امتاز سوفوكليس فى حياته بالاعتدال وعدم التطرف، وانتخب مرتين لوظيفة القائد رغم أنه لم يكن يمتاز بالنشاط السياسى أو العسكرى، وقد وصلنا من أعماله سبع مسرحيات رغم انه كتب ما يزيد عن ١٢٠ مسرحية، وفاز بالمركز الأول ثمانية عشر مرة.

ويعد سوفوكليس أول من أدخل الممثل الثالث، وقام كذلك بتغيير المناظر، واستخدم الموسيقى، وقلل من ارجاع الأمور لمشيئة الآلهة وأعطى دورا أكبر للانسان، ووضع المرأة بطلة لاعماله، كما أنه قام بالتجديد فى طريقة معالجة الاوضاع الاجتماعية، وسوف نعرض فيما يلى لموضوعات المسرحيات التى وصلتنا عن سوفوكليس.

أجاكس

تدور المسرحية حول أجاكس ابن تلامون أحد الأبطال الاغريق والذى كان من قادة الجيش فى حرب طروادة، وتبدأ المسرحية بعد وفاة اخيليوس حيث يتنافس على اسلحته كل من أجاكس واوديسيوس، وفى نهاية الأمر يفوز أوديسيوس

بالاسلحة، يؤدى ذلك إلى ثورة اجاكس ومحاولته قتل القادة اليونانيين وتقوم الآلهة بحرمانه من البصر فيقتل الاغنام بدلا من الرجال ويعزم على قتل نفسه وتحاول زوجته وأخوه منعه من ذلك دون جدوى، وبعد موته يحاول زعماء الاغريق منع عملية دفن جسمانه باعتباره مذنبا، إلا أن شقيقه تيكروس ينجح فى دفنه بمساعدة اوديسيوس.

انتيجونى

ترتبط هذه المسرحية بمسرحية ايسخيلوس "السبعة ضد طيبة" حيث تبدأ من موقف انتيجونى ونجاحها فى دفن شقيقها رغم ارادة كريون، فيتم القبض عليها ومثولها أمام كريبون وتقول بانها قد قامت بتنفيذ قوانين الآلهة بضرورة دفن الموتى، وعصيان أوامر البشر بالامتناع عن ذلك، ويأمر كريون بحبسها حتى الموت فى احدى الكهوف ولايعبأ بدفاع شقيقها عنها، ولا بدفاع ابنه "هايمون" الذى كان خطيبا لها، إلا انه يتراجع عن موقفه حين يهدد الكاهن تيريسياس بالمصائب التى سوف تحيق به نتيجة ذلك، ويحاول كريون انقاذ انتيجونى بعد فوات الأوان حيث تكون قد شنقت نفسها وينتحر على إثر ذلك همايون ابن كريون، ويعود كريون إلى منزله فيجد أن زوجته قد انتحرت هى الأخرى حزنا على مقتل ابنها.

وفى هذه المسرحية نجد أن سوفوكليس ينتصر لقوانين الآلهة على قوانين البشر، ويملاء مسرحيته بجو قاتم نتيجة لخطأ كريون الذى أصر على عقاب انتيجونى رغم أنها بدفنها لأخيها كانت تقوم بتنفيذ ارادة الآلهة.

أوديب ملكا

تدور المسرحية حول وباء يجتاح مدينة طيبة، ويعلن العرافون أن السبب فى ذلك هو أن ملكهم السابق لايوس قد قتل بيد رجال لا زالوا يعيشون فى المدينة ويأمر الملك أوديب الكاهن تيريسياس بالافصاح عن اسم القاتل فيخبره تحت الضغط الشديد بأنه هو نفسه قد قام بقتل أبيه الملك لايوس، ويتضح بعد ذلك أن

أوديب كان قد قتل رجلا فى مفترق الطرق وأن هذا الرجل هو بوه الملك لايوس، وأن أوديب لم يكن ابنا لبولبيوس وانما كان بولبيوس قد تبناه بعد أن عثر عليه أحد الرعاة فى الطريق.

ويتأكد أوديب من أنه قد قتل أباه وتزوج أمه أرملة القتيل دون أن يعلم، ويعود أوديب إلى القصر ليجد أن جوكاستا أمه وزوجته قد شنقت نفسها فيقوم بفقأ عينيه وينفى نفسه من المدينة برغبته حتى يتهرب من الآثام التى ارتكبها دون ان يعلم.

والمسرحية أيضا تظهر كيف أن الاقدار ورغبة الآلهة أمر لايمكن الهروب منه.

الیکترا

وهى تتشابه مع ثلاثية ايسخيلوس، حيث تدور حول عودة اوريستيس ابن اجاممنون إلى بلاده بعد مقتل أبيه طلبا للثأر من أمه وعشيقها، وتتعرف اليكترا على شقيقها وتتفق معه على مساعدته فى الثأر من القتلة، ويتمكن اوريستيس من دخول القصر ويقوم بقتل أمه انتقاما لابيه، ثم يقوم بعد ذلك بقتل عشيق أمه فى نفس المكان الذى تم فيه قتل أجاممنون.

فيلوكتيتس

وتدور هذ المسرحية حول فيلوكتيتس ابن بولاس الذى قام باحراق جسد هيراكليس وورث بذلك قوس وسهام هيراكليس وورثها الابن عن ابيه بعد ذلك.

وخلال حرب طروادة يترك اليونانيون فيلوكتيتس على جزيرة ليمنوس بعد أن لدغه ثعبان، واستمرت الحرب بعد ذلك لعدة سنوات إلى أن أعلن العرافون أن

سقوط طروادة لن يتم إلا بعد استعادة قوس وسهام هيراكليس وهى التى كانت حوزة فيلوكتيتس فى جزيرة ليمنوس وذهب أوديسيوس ومعه نبتوليموس بمصاحبة فيلوكتيتس حتى ينام ويترك القوس والسهام فى حراسة نيبتوليموس، ويعانى هذا البطل اليونانى الرفيع الخلق من تأنيب الضمير لمحاولة خداع فيلوكتيتس، ورغم محاولة أوديسيوس اقناعه بأخذ القوس والسهام وترك فيلوكتيتس فى الجزيرة، إلا أن نيبتوليموس يرفض ذلك ويترك القووس والسهام لفيوكتبتس والذى يحاول الانتقام من اوديسيوس إلا أن شبح هيراكليس يظهر ويأمره بلذهاب مع كل من أوديسيوس ونيبتوليموس إلى طروادة فيذهب معهما.

أوديب فى كولون

تدور هذه المسرحية حول أوديب بعد أن غادر طيبة وبعد أن فقأ عينيه تكفيرا عن خطيئته، حيث يصل إلى كولون ويعلم عن طريق العراف أن مكان موته سوف يكون فيها وأن روحه سوف تكون حامية لأثينا بعد وفاته، ويطلب من ملك أثينا حمايته من ملك طيبة الذى حاول اعادته حتى يموت فيها وتقوم روحه بحمايتها بدلا من أثينا، ويحاول أبناؤه أن يعرضا خلافهما حول العرش إلا أنه يطردهما ويذهب إلى مكان بعيد حيث يموت فيه، وهذه المسرحية تم عرضها بعد وفاة سوفوكليس، ويبدع فيها الشاعر فى وصف ضاحية كولون التى كانت مسقط رأسه.

يوربيديس

ولد يوربيديس سنة ٤٨٤ ق.م على وجه التقريب وذلك فى جزيرة سلاميس وبدأ حياته بتعلم الألعاب الرياضية مثل المصارعة كما تعلم الخطابة على يد السوفسطائيين وقد أثر ذلك فى أعماله المسرحية حيث اتسمت بروح الخطابة والفلسفة، كما كانت أعماله أكثر عمقا وتحليلا ممن سبقوه، وكان أيضا أكثر واقعية

من ايسخيلوس وسوفوكليس، ولم يكن يقبل المسلمات سواء كانت عقائد أو ديانات أو قوانين دون أن يقوم بتمحيصها ونقدها، واتسمت أعماله إلى جانب الواقعية بالتحرر من القيود التى كانت تكبل سابقيه من شعراء المسرح، وقد بقيت لنا من أعماله ثمانية عشر مسرحية، وقد توفى فى مقدونيا أثناء زيارته لها سنة ٤٠٦ ق.م.

وفيما يلى عرض للأعمال المسرحية التى بقيت كاملة ليوريبديس.

الكيستيس

الكيستيس هى زوجة اورفيوس الذى منحه الإله أبوللو الخلود مكافأة له وبشرط أن يختار شخص اخر يموت بدلا منه فى موعد وفاته هو، ويحاول أورفيوس اقناع أبيه وأمه بأن يموت أحدهما بدلا منه ولكنه يفشل فى ذلك، وترضى زوجته الكيستيس بالموت بدلا منه لحبها الشديد له، إلا أن هيراكليس يعلم بأمر هذا الاتفاق ويقتفى أثر ثاناتوس ملك الموت ويخلص الزوجة الكيستيس ويعيدها إلى زوجها مرة أخرى.

ميديا

يتزوج جاسون من ميديا وينجب منها طفلين، ثم يتركها ليتزوج من ابنة ملك كورينثة، وتستيقظ مشاعر الانتقام لدى ميديا نتيجة لذلك الزواج، ويقرر كريون أن ينفى ميديا من القصر خوفا على جاسون وزوجته الجديدة، وتماطل ميديا فى تنفيذ ذلك الأمر، وتقوم خلال هذه الفترة بإرسال هدية مسمومة إلى الزوجة الجدية لتقتلها وتقوم بعد ذلك بذبح ابنيها من جاسون أمام عينيه امعانا فى الانتقام الوحشى ثم تفر من كورينثة إلى أثينا.

هيبوليتوس

كان هيبوليتوس ابن ثيسيوس ملك أثينا، وكان قد كرس حياته لعبادة الآلهة ارتيميس، إلا أن زوجة ابيه قد وقعت فى حبه ورفض هو أن يستجيب لها، وكان نتيجة رفضه هذا أن قامت بالانتحار وتركت رسالة لأبيه تتهمه بأنه كان يراودها عن نفسها وأنها انتحرت لهذا السبب، ويثور الأب على ابنه ويطلب من الآلهة أن تنزل العقاب به، ويتم عقاب الألهة بالفعل حين يقتل هيبوليتوس نتيجة لانقلاب عربته عند ساحل البحر، ويتم بعد وفاته معرفة الحقيقة ولكن بعد فوات الأوان.

عابدات باخوس

تدور هذه المسرحية حول ديونيسيوس الذى كان يطوف العالم ليقدم نفسه كإله جديد، وترفض نساء طيبة أن يقمن بعبادته وتتزعم الرافضات أم ملك طيبة، ويكون رد فعل الإله على ذلك الأمر أن يضع الجنون فى رؤسهن ثم يرسلهن لعبادته فى الجبل، ويظهر الملك فى طيبة العداء لهذه العبادة ويقوم بإلقاء القبض على الإله الجديد ويحاول وضعه فى السجن ولكنه يتنكر ويهرب ثم يقنع الملك بالذهاب للتجسس على النساء حيث تقوم النساء بالامساك به وتمزيقه.

افيجينيا فى أوليس

وتدور حول عزم الملك أجاممنون على التضحية بابنته افيجينيا حتى تسمح الألهة لاسطول الاغريق بأن يبحر إلى طروادة إلا أن الآلهة تنقذ ايجنيا من هذا المصير.

ايجينيا فى تاوريس

وهى استكمال للمسرحية السبقة حيث يتم نقل الفتاة إلى جزيرة تاوريس ثم يصل شقيقها اوريستيس إلى الجزيرة مع صديقه ويتعرف عليها ويصحبها عائدا إلى بلاده.

الطرواديات

تصف المسرحية أحوال طروداة بعد سقوطها أمام الاغريق واحوال نسائها بعد أن صرن من السبايا، والمسرحية تمثل تصويرا لمآسى الحروب وأهوالها، والنتائج الوخيمة التى تترتب عليها للمهزوم فى ذلك العصر.

هيلين

تعالج هذه المسرحية أيضا قصة حرب طروادة والحصار الذى استمر حولها لمدة عشر سنوات بسبب امرأة، ويقول يوريبيديس فى هذ المسرحية أن هيلين الحقيقية لم تصاحب باريس إلى طروادة، ولكنها بقيت فى مصر حيث حملها إلى هناك الإله هيرميس وظلت فى انتظار زوجها هناك طيلة السنوات العشرحتى تمكن منيلاوس من استعادتها حين ارتطمت سفنه بسواحل مصر بالصدفة وتعرف على زوجته هناك.

أوريستيس

يعانى أوريستيس من القلق بعد أن تمكن من قتل أمه والثأر لابيه وذلك خوفا من انتقام الألهة، ويحاول شعب أرجوس أن يقوم بإعدامه هو وشقيقته إلا انه ينجو من ذلك المصير بفضل تدخل الإله أبوللو لإنقاذه.

أندروماخى

وهى أرملة هكتور أحد أبطال طروادة، وقد أصبحت بعد الحرب من نصيب نيبتوليموس البطل اليونانى، ثم تزوج من ابنة منيلاوس التى تحاول قتل أندروماخى إلا أن الألهة ثيتيس تتدخل لصالح أندروماخى وتمنع محاولة قتلها.

أبناء هيراكليس

وتدور هذه المسرحية حول أبناء هيراكليس ذلك البطل الأسطورى الذى تناول المسرح قصته من قبل، وكيف أن هؤلاء الأبناء قد تعرضوا للظلم والاضطهاد بعد وفاته.

هيكابى

وهى امرأة عجوز، كانت زوجة لبريام ملك طروادة، وتدور هذه المسرحية حول المرأة والمأساة التى تعرضت لها بعد أن فقدت كل ابنائها.

اللاجئات

ويصور يوريبيديس فيها امهات الابطال السبعة الذين قتلوا فى الهجوم على طيبة بسبب الصراع بين الاخوين على العرش وكيف أن هؤلاء النسوة كن يطالبن بالحصول على جثث الابناء الذين قتلوا فى الحرب.

اليكترا

وهى نفس موضوع مسرحية سوفوكليس مع اختلاف بسيط فى المعالجة من جانب يوريبيديس.

جنون هيراكليه

يصور يوريبيديس فى هذه المسرحية هيراكليس الذى أصابته الإلهة بالجنون مما دفعه إلى قتل أبنائه ظنا منه أنهم أبناء أحد أعدائه ، ثم لا يلبث أن يعود إلى صوابه حين يعلم حقيقة ما فعل.

أيون

وتدور المسرحية حول المرأة التى ألقت بإبنها بعيدا عنها، بسبب خطأها، ثم يقوم زوجها بتبنى هذا الابن بعد زمن طويل، وتحاول هى أن تقوم بقتله دون أن تعرفه، ثم لا تلبث أن تتعرف عليه ويعود اليها الابن بعد سنوات طويلة.

الفينيقيات

ويصور فيها يوريبيديس موضوع السبعة ضد طيبة، حيث يتعقب موضوع الشقيقين المتنازعين على العرش ويصورهما وقد قتل كل منهما الآخر، وهى نفس النهاية التى آلت اليها القصة فى مسرحية ايسخيلوس.

الكيكلوبوس

وهى المسرحية الساتيرية الوحيدة التى كتبها يوريبديس، ويتناول قصة العملاق بوليفيموس الذى قام بأسر أوديسيوس ورفاقه، وهى القصة التى وردت فى الاوديسية، وكيف أخذ يأكل الأصدقاء واحدا تلو الآخر، إلى أن تمكن أوديسيوس من التحايل عليه وفقأ عينه الوحيدة الموجودة فى وسط رأسه ثم لاذ بالهرب.

أريستوفانيس

هو أشهر من كتب الكوميديا اليونانية، وينتمي لاحد الاسر الثرية فى أثينا، وكانت أسرته قد ذهبت للحياة فى جزيرة ايجينيا وهو بعد طفل صغير، وكان اريستوفانيس بحكم تنشأته ينتمي إلى الجانب المحافظ ولا يميل إلى التجديد، ولعل هذا هو سبب هجومه الدائم على سقراط فى مجال الفلسفة ويوريبيديس فى مجال المسرح واتهامه لهما باختراع بدع جديدية لاتتفق مع موروثات المجتمع الأثيني وتراثه، وكان أريستوفانيس دائم الهجوم على الساسة والقادة فى أثينا وخاصة أثناء الحروب البلوبونيزية، وقد وصل فى هجومه إلى حد أن كليون حاكم أثينا قد طلب محاكمته واعتباره خائنا للبلاد بسبب هجومه الشديد عليه وعلى سياساته وخاصة فى مسرحية "البابليون" سنة ٤٢٦ق.م.

وقد بقيت لنا من أعمال اريستوفانيس احدى عشر مسرحية نتناول أهم أفكارها فى السطور التالية.

الأخارنيون

وهو مسرحية تدور حول الحرب بين أثينا واسبرطة، وتهاجم هذه الحرب بضراوة شديدة، وبطلها "ديكايوبوليس" وهو فلاح بسيط من احدى المقاطعات المجاورة لأثينا- آخارنيا- وهو يحاول من خلال حضوره إلى أثينا أن يقدم رشوة لأحد أنصاف الألهة الذى ارسلته الآلهة لاتمام الصلح بين أثينا واسبرطة فنفذت نقوده دون أن يتمكن من اتمام الرحلة، ويعرض عليه ديكايوبوليس أن يمده بالنقود على أن يبرم له معاهدة صلح منفردة مع اسبرطة، وحين يعلم الأثينيون بهذا يتهمون ديكايوبوليس بالخيانة ويحاولون اعدامه، إلا أنه يأخذ فى استعطافهم ويشرح لهم مزايا السلام وأضرار الحرب فينتهى الأمر لصالحه.

الفرسان

ويصور أريستوفانيس فى هذه المسرحية كلا من ديموسثينيس ونيكياس اللذين قاما بالصلح مع اسبرطة على أنهما من عبيد (ديموس) أى الشعب، بينما يصور كليون حاكم أثينا على أنه المحبوب الجديد للديموس هذا، وتظهر نبوءة فى البلاد مؤداها أن بائع فطائر أسود سوف يظهر ويطرد كليون من قلب ديموس، والمسرحية تسخر من الحكم الفردى والديماجوجى الذى يتملق العامة على حساب مصلحة البلاد.

السحب

تدور المسرحية حول مدرسة سقراط، وكيف أنها تعلم الناس قلب الحقائق، ويستعد أحد فلاحى أثينا للإلتحاق بها حتى يتمكن من تعلم هذا المنطق والتخلص من مطالبات الدائنين الكثيرة، ولا ينجح الفلاح فى الدراسة بسبب غبائه الشديد فيرسل ابنه بدلا منه، وينجح الابن فى التعلم وينجح الاب بالتالى فى مماطلة الدائنين، وسرعان ما يعانى الاب نفسه من هذه الافكار الجديدة حين يقوم الابن بضربه ويقنعه بانه من حق الابن أن يضرب أبيه وفقا للافكار التى تعلمها من سقراط، ويغضب الاب ويحرق منزل سقراط لمسئوليته عما حدث.

الدبابير

وهى مسرحية يسخر أريستوفانيس بها من النظام القضائى القائم فى أثينا، ويصور فيها أحد المواطنين الشغوفين بحب التقاضى، وابنه الذى يحاول اقناعه بالتخلى عن هذه الهواية، ويقوم الابن بسجن أبيه فى المنزل حتى لايذهب إلى المحكمة مع المحلفين أو القضاة الشعبين، ويقوم الاب بممارسة هوايته فى المنزل حيث يعقد محاكمة لكلب الاسرة ويتهمه بسرقة قطعة من الجبن.

السلام

وتدور حول ترياجوس الفلاح البسيط الذى يستأجر خنفساء لتحمله إلى السماء بحثا عن آلهة السلام، وهناك يعلم أن اله الحرب قد قام بدفن إلهة السلام فى بئر سحيقة فيقوم بانقاذه والعودة به إلى أثينا لاقرار السلام بين الدويلات اليونانية.

الطيور

وتدور حول أثينا بعد الحروب البلوبونيزية، وكيف انهار كل شىء حتى المعتقدات الدينية، ويقوم أثنان من المواطنين بإنشاء مدينة بين السماء والارض بديلا عن المدينة التى امتلاءت بالحروب والكراهية.

ليسستراتا

والاسم لامرأة أثينية قررت أن تقود النساء فى المدينة وخارجها للمطالبة بالسلام، وتقوم باحتلال الأكروبول، ويحاول الرجال استعادته منها ولكنهم يفشلون وينتهى الأمر بمؤتمر للسلام واتفاق كل من الأطراف عليه.

ثيسموفوريازوساى

وسخر فيها أريستوفانيس من يوريبيديس ويصوره وقد تآمر النساء فى عيدهن على قتله لكثرة هجومه عليهن ويتعهد يوريبيديس فى النهاية بعدم الهجوم عليهن.

الاكليزيازوساى

ويصورر فيها اريستوفانيس محاولة النساء فرض السلام بالقوة وذلك بالاستيلاء على الحكم ومجلس الاكليزيا، ويتناول الشاعر فى هذه المسرحية بعض الافكار التى ظهرت فى القرن الرابع ق.م وخاصة فكرة النبيوعية.

الضفادع

تتناول المسرحية غياب شعراء المسرحح التراجيدى العظام بعد موت ايسخيلوس وسوفوكليس ويبوريبيديس ومحاولة الأب ديونيسيوس أن يستعيد واحدا منهم من العالم الآخر، وتتم هناك مباراة بين ايسخيلوس ويوريبيديس لاختيار أحدهما، وينتهى الأمر بفوز ايسخيلوس وصعوده مع ديونيسوس.

بلوتوس

وتدور المسرحية حول الأوضاع الاجتماعية المقلوبة نتيجة للحروب، ويصور فيها الإله بلوتوس المسئول عن توزيع الثروة لمن لا يستحق، حتى يقوم فلاح فقير بعلاجه فيسترد بصره ويعود لتوزيع الثروة بالعدل.

١١- الفكر الدينى والاساطير

تعد الاساطير أحد الأشكال الرمزية والتى صورت فى فترة من فترات التاريخ الانسانى أفكار البشر واحلامهم قبل أن يتمكن الانسان من التوصل إلى المعرفة بشكلها ومعناها الواضح والمباشر، والأساطير ليست مجرد قصص خرافية، ولكنها تحمل مضمونا فلسفيا يتوافق مع رؤى وأفكار وظروف المجتمع الذى نشأت فيه، وهى بهذا تعد مجالا خصبا يستثمره الباحثون فى ادراك العلاقة بين الانسان والطبيعة، وكيف كانت المجتمعات القديمة تربط بين ظواهر الطبيعة المختلفة وبين شتى الأفكار والروايات، ويمكن أن نجد تعريفا محددا للأسطورة فى انها محاولة الانسان البدائى لفهم وتطويع الطبيعة وتفسير الظواهر التى تتعلق بها.

ولعل هذا التفسير يوضح لنا كيف نشأ السحر ونشأت معه الرموز أو الطواطم التى استخدمها الانسان لجلب الحظ، ثم تطورت لتصبح رمزا لكل قبيلة أو طائفة، ونشأت عنها أيضا العبادات والألهة القديمة، وظهرت الأديان التى كانت تقوم حول أساطير وألهة أسطورية مستمدة أساسا من قوى الطبيعة المختلفة ومن أساطير أولية، ثم اكتملت فكرة الدين بعد ذلك حين اكتشفت هذه المجتمعات البدائية فكرة الروح وانتقال الانسان إلى العالم الأخر.

والدين فى بلاد اليونان لم يكن قائما على فكرة وجود اله واحد، ولكنه كان دينا مستمدا من الأساطير، وكانت الألهة هى القوى الطبيعية التى تحيط ببلاد اليونان، وجعلوا الاله قريب الشبه بالانسان، ولم يكن الدين فى بادىء الأمر مرتبطا بالنواحى الاخلاقية أو القيم المختلفة، وكان اليونانيون يضعون القدر أو الأمور التى لا مفر منها فى مكانة أعلى من الألهة انفسهم، بمعنى أن الكون بأسره قائم على نظام متكامل وينظمه قانون واحد، وهذا النظام وذلك القانون ينظم الآلهة والبشر على السواء، ولا يمكن للآلهة أن يخرقوا هذا النظام بشكل مطلق، بل انهم هم انفسهم خاضعون لهذه القوانين.

وقد تطورت هذه الأفكار فيما بعد، حين ارتبط الدين بالاخلاق، وصار هناك تعريفا لمسائل مثل الطهارة التى ينبغى ان يتصف بها الانسان حين يقدم القرابين للألهة، ومثل الخطايا والذنوب التى يجب على الانسان أن يتطهر منها حتى لا يتعرض للعقاب من الألهة، وفى هذه المرحلة ارتبط الدين بالقيم الاخلاقية، وبدأ فى احتلال مكانا متميزا يقترب من فكرة الدين بمعناه المألوف، كما أن كبير الألهة لدى اليونانيين والذين يطلقون عليه اسم "زيوس" قد صار مصدرا للاقدار، ولم يعد القضاء والقدر أمرا سابقا على مكانة الألهة.

مصادر دراسة الأساطير

تنقسم مصادر دراسة الأساطير إلى مصادر مكتوبة وهى كتابات اليونان والرومان سواء كانت شعرا أم نثرا، ومصادر غير مكتوبة وهى الآثار وما يمكن أن نجده مسجلا عليها من اشارات للاساطير المختلفة، وتعد المصادر الكتابية أكثر أهمية وهى تلك التى سوف نعرض لها فيما يلى:-

هوميروس

هوميروس من أعظم شعراء الملاحم فى اليونان، وهو شاعر ثار حوله جدل كثير من جانب العلماء، إلى حد أن بعضهم قد أنكر وجوده وأرجع أعماله إلى مصادر شتى، هذا بالاضافة إلى الفترة التى عاش فيها وكتب خلالها أشعاره، أو بمعنى أدق التى ألقى خلالها هذه الاشعار هى أيضا غير محددة، وإن كان يمكن - قياسا على الأحداث التى يتناولها فى أعماله- أن نضعه بين القرن الحادى عشر والقرن السابع ق.م.

وتعد الالياذة والاوديسية هى أعظم وأشهر أعمال هوميروس، ويروى هوميروس فى الالياذة قصة حرب طروادة وكيف نشأت تلك الحرب بين بلاد اليونان ومدينة طروادة الواقعة فى أسيا الصغرى بسبب أن باريس أحد أمراء

طروادة قد قام باختطاف زوجة منيلاوس أحد قادة اليونان والتى تدعى هيلين، واستمرت الحرب لمدة عشر سنوات وكانت نهايتها سقوط طروادة وانتصار اليونان.

والملحمة الثانية وهى الاوديسية تتحدث عن أحد أبطال اليونان فى نفس هذه الحرب، وهو أوديسيوس الذى تعرض لمغامرات عديدة أثناء عودته إلى بلاده بعد انتهاء الحرب، واستمرت هذه المغامرات هى الأخرى عشر سنوات وانتهت بعودة اوديسيوس سالما واستعادة عرش بلاده.

هذا وتعد الالياذة والاوديسية أساسا لمعرفتنا بالاساطير اليونانية، حيث أن هاتين الملحمتين تزخران بالعديد من الأساطير، وكذلك يتضح فيها علاقات شتى بين البشر والآلهة يسوقها هوميروس من خلال الأحداث التى يرويها، ويوضح فيها انساب هؤلاء الألهة واختصاصات كل منهم.

هسيودوس

وهو شاعر ملحمى اخر وإن كان أقل اهمية من هوميروس، حيث أن أشعاره تتسم بالطابع التعليمى، وأشهر أعماله "الأعمال والأيام" و"أنساب الآلهة"، والأولى تتناول مجموعة من الأساطير ونصائح أخلاقية وخبرة عملية فى مجال الزراعة، أما الثانية فهى- كما يتضح من اسمها- تدور حول آلهة اليونان وبداية ظهورها وبدء تكوين العالم، وقد تفوق هسيودوس على هوميروس فى مجال تحليل الأحداث، حيث كان يحاول تحليل ما يرى من أحداث ومواقف بينما كان هوميروس يعتمد على سرد الأحداث فحسب

بندار

وهو شاعر غنائى عاش بين القرن السادس والخامس ق.م، وتمتاز قصائده باعتمادها على الاساطير. بحيث يمكن أن يعتمد عليها الباحث فى دراسة الأساطير اليونانية فى ذلك الوقت.

المسرح اليونانى

تعد الدراما اليونانية أحد أهم مصادر معرفتنا بالاساطير، ومن الطبيعى أن يتعامل كتاب الدراما مع أسطورة ديونيسيوس أولا ثم باقى الآلهة بعد ذلك، ومن الطبيعى أن تكون الأساطير أساسا للأعمال الدرامية وخاصة فى الجانب التراجيدى منها، ويمكن أن نتيقن من مدى الارتباط بين الاسطورة والمسرح التراجيدى إذا علمنا أن جميع المسرحيات التراجيدية التى وصلت الينا من المسرح اليونانى تتعلق بالاساطير فيما عدا مسرحية "الفرس" التى تتناول حدثا تاريخيا.

أما الكوميديا فقد كان شعراؤها يتعرضون للأساطير من خلال مسرحياتهم، إلا أن المسرح الكوميدى لم يكن يعتمد اعتمادا أساسيا على الأساطير مثلما الحال فى التراجيديا.

النثر

يعد النثر أيضا أحد أهم مصادرنا فى معرفة الأساطير، حيث تمتلىء كتابات المؤرخين بالاساطير والخرافات وخاصة هيرودوت وثوكيديديس، كما أن بعض الكتابات الفلسفية قد تميزت أيضا باستخدام الاساطير مثلما الحال لدى أفلاطون الذى كان يستخدم الاساطير للاستشهاد بها وأحيانا أخرى للنقد والتحليل.

كتابات الرومان

رغم أن الرومان قد تمكنوا من غزو واحتواء بلاد اليونان عسكريا وسياسيا، إلا أن الثقافة اليونانية قد تغلغلت فى الفكر الرومانى بحيث صار التراث الأدبى الرومانى فى مجمله تقليد لليونانى، وفى هذا المجال نجد شاعر الملاحم "فيرجيل" يقلد هوميروس، فيكتب ملحمة "الانيادة" حول "انياس" أحد أبطال طروادة، وتمتلىء الملحمة بطبيعة الحال بالاساطير اليونانية، كما أن أحد أعمال الشاعر "أوفيد" وهو "التحولات" يمتلىء أيضا بأساطير اليونان، وكذلك نجد فى كتابات المؤرخين الرومان قدرا كبيرا من الأساطير مما يعكس مدى التأثير الذى أحدثه اليونانيون فى التراث والفكر الرومانى.

١٢- الدين و الاسطورة

ينبغى دراسة الاساطير اليونانية فى الاطار الذى وجدت فيه، أى فى نفس الظروف الاجتماعية والتاريخية التى نشأت فيها هذه الاساطير، ولعلنا فى هذا المجال نجد أن هذه الاساطير كانت تختلف عن غيرها من تراث الشعوب الأخرى فى تركيزها على الانسان ومعاناته وحياته، وابتعادها النسبى عن الاغراق فى الخيال قياسا على مثيلاتها لدى الشعوب الأخرى.

نشأة الدين وتطوره

هناك العديد من الأراء التى تعالج قضية نشأة الدين، وإن كانت هذه الأراء تتبلور فى نظريتين أساسيتين. أحدهما تقول بان العقائد الدينية وفكرة الاله هى فكرة تطورية نشات من الأفراد ثم الجماعات والأخرى تقول بان الدين قد نشأ من فكرة تطورية نشأت مع الانسان منذ ميلاده.

الديانة اليونانية

يختلف الدين فى بلاد اليونان عنه فى البلاد الأخرى فى ذلك العصر فى أن الديانة فى حضارات الشرق الأدنى القديم ثم الديانات السماوية بعد ذلك كانت ترتبط بالحساب والثواب فى العالم الأخر، أما الديانة اليونانية القديمة فانها كانت ترتبط أساسا بحياة الانسان فى الدنيا، وكانت الآلهة أيضا كما تصورها الاساطير تشبه الانسان فى هيئتها وحياتها. ولهذا السبب كان المواطن اليونانى يتعامل مع فكرة الدين والآلهة تعاملا يخلو من الرهبة، وان لم يفتقر إلى الاجلال والتقدير، وتبدو فلسفة الدين عند اليونان فى اختيار المواطن اليونانى لنوعية الآلهة التى يتعامل معها ويحتفل بها، حيث نجد أن كل اليونانيين كانوا يفضلون آلهة المحاصيل أو الحرب على الهة السماء أو الشمس والقمر والعالم السفلى، أى أنهم على عكس

الشعوب الأخرى لم يكونوا يحفلون بأمر العـالم الآخـر، وانمـا كـانوا يتعـاملون مـع آلهة تتحكم فى مسار حياتهم اليومية وتساعدهم على سبر أغوارها.

وقد تطـور الدين لـدى اليونـانيين فـى عصـر دولـة المدينـة، حيـث تعقـدت وتشابكت الأمور، ولم تعد فكرة الألهة بمفهومها القديم صالحة للمواطن الذى يعيش فى ذلك العصر، وكان من الطبيعى أن يحدث انهيـار فـى اعتنـاق هـذه الديانـات أو تقديم القرابين لمثل هذه الآلهة.

١٣- الرق فى المجتمع اليونانى

لم يكن العبيد فى المجتمع اليونانى، وخاصة فى أثينا يشبهون فى أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية العبيد بالمعنى المعروف فى العصور القديمة والحديثة، بل أن العبيد والاجانب المقيمين فى أثينا كانوا يتمتعون بقدر كبير من الامتيازات، ولم يكن فى مظهرهم أو ملبسهم ما يميزهم عن المواطن العادى، كما أنه لم يكن من حق أحد أن يقوم بضربهم أو ايذائهم، بالاضافة إلى ذلك كان العبيد يعيشون حياة طيبة، حتى أن البعض منهم كان يمتلك ثروات كبيرة.

وقد كانت مصادر العبيد فى المجتمع الأثينى هى الحرب أو المولد أو الاحكام القضائية، وكان عددهم كبيرا بالقياس إلى عدد المواطنين، وكانت مجالات عملهم تجعلهم أكبر فى المدينة عنه فى الريف، حيث كان يتم استخدامهم فى الأعمال المنزلية والصناعات والتجارة، وقد نتج عن ذلك أن برع الكثيرون منهم فى أداء عمله وحرفته حتى تمكنوا من جمع ثروات كبيرة، كما نجح بعضهم فى شراء حريته بالمال بعد أن صار من الأثرياء، أو نتيجة لأداء عمل جليل لمصلحة سيده، وكان العبد فى هذه الحالة يتحول إلى اجنبى مقيم .

وقد كان لليونانيين نظرة مختلفة عن نظرتنا الحالية تجاه مسألة الرق، فقد كان الأمر يمثل لديهم وضعا طبيعيا نشأوا عليه وصار جزءا من مجريات حياتهم، ولم يكن امتلاك العبيد يمثل أمرا شائنا، وكان العبيد يمثلون أدوات انتاجية لاغنى عنها للمواطن الأثينى، وكان نتيجة ذلك أن المواطن الأثينى كان يعامل العبيد معاملة حسنة بوصفهم جزءا هاما من مكونات حياته اليومية.

والمعاملة الطيبة التى كان يلقاها العبيد فى المجتمع اليونانى وخاصة فى أثينا لاترجع لاسباب أخلاقية، ولكنها ترجع فى االمقام الأول لاسباب اقتصادية، حيث أن المجتمع الأثينى كان فى حاجة إلى المال، وكان العبيد هم الأساس الذى تعتمد عليه

البلاد فى الحصول على الثروة، ولذا كانت معاملتهم على هذا النحو تهدف إلى الحصول على أقصى طاقاتهم وامكانياتهم فى سبيل تحقيق أكبر عائد ممكن من العائد المادى.

ولم يكن العبيد فى المجتمع اليونانى يمثلون طبقة واحدة من ناحية الامتيازات والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ولكنهم كانوا يمثلون عدة طبقات أكثرها حظا وأفضلها حالا العبيد الذين كانوا يعملون فى مجال الحرف المختلفة والتجارة، حيث كان بمقدورهم تحقيق قدر كبير من الثروة يمكنهم من الانتقال من مرتبة العبودية إلى مرتبة الاجنبى المقيم، والتمتع بأقصى حد من الترف، أما أقل هذه الطبقات فهم العبيد الذين لم يبرعوا فى أى حرفة من الحرف وهم الذين يعملون فى مناجم الفضة.

وان كان العبيد فى المجتمع الأثينى قد تمتعوا بهذه المكانة، فانهم فى اسبرطة كانوا على العكس من ذلك، حيث كان النظام الاسبرطى يعمل على تأكيد سيادة الاسبرطيين الأحرار على سائر قوى المجتمع، ونتج عن ذلك معاملة سيئة لطبقة العبيد، رغم تزايد أعدادهم واستخدامهم فى شتى جوانب الحياة.

وإلى جانب العبيد، كان فى أثينا طائفة أخرى هى طائفة الأجنبى المقيم، وكانت هذه الطائفة تتكون من الأجانب المقيمين اقامة دائمة فى اثينا، وكانت لهذه الطائفة امتيازات تمنحها لهم الدولة بعد أن زادت احتياجات المدينة من الحرفيين، وكانت لهم الكثير من امتيازات المواطنيين حتى انهم كانوا يخدمون فى الجيش، ويؤدون الخدمات العامة، ويدفعون ضرائب الدخل بنفس النسب المفروضة على المواطن، ولم يبعد عنهم من الامتيازات سوى حق ملكية الأرض، وهو الامتياز الوحيد الذى لم يمنح لهم.

١٤- جدول تاريخي بأهم الأحداث فى العالم اليونانى(٤)

١٦٠٠-١٤٠٠	الحضارة الموكينية.
١٢٧٠	حرب طروادة.
١٢٠٠	دخول اليونان الفترة الغامضة في تاريخها.
١١٠٠	الغزو الدورى لبلاد اليونان وبدء الهجرات إلى سواحل آسيا الصغرى.
٩٠٠	انتشار الحياة في المدينة اليونانية.
٨٥٠	أشعار هوميروس.
٨٠٠-٦٥٠	انتشار سك النقود المأخوذ عن ليديا.
٧٧٦	التاريخ التقليدى لأول دورة اوليمبية فى اليونان.
٦٨٣-٦٨٢	بدء التأريخ للحكام السنوى فى أثينا (الأرخون).
٦٢١	قوانين دراكون في أثينا.
٥٩٤	سولون حاكما (أرخونا).
٥٩٢	اصلاحات سولون في أثينا.
٥٦١	قيام حكم الطغاة فى أثينا.
٥٦٠	موت سولون.
٥٤٦	الغزو الفارسي لبلاد اليونان فى آسيا والاستيلاء على عاصمة ليديا وضمها لفارس.
٥١٠	انتهاء حكم الطغاة في أثينا.
٤٩٩	ثورة المدن الأيونية ضد الفرس.
٤٩٤	اخضاع الفرس للمدن اليونانية فى آسيا.
٤٩٣	ثيمستوكليس حاكما فى أثينا (أرخونا).
٤٩٠	الغزو الفارسى لبلاد اليونان، موقعة ماراثون، هزيمة الفرس.

٤٨٠	الغزو الفارسى لليونان مرة أخرى، (الحرب الميدية الثانية)، معارك ثيرامبولاى، وهزيمة الفرس للمرة الثانية.
٤٧٧-٤٧٨	تنظيم حلف ديلوس.
٤٦٠-٤٦٢	أول ظهور لبركليس.
٤٥٦	موت ايسخيلوس الشاعر الدرامي.
٤٥٣-٤٥٤	نقل خزائن حلف ديلوس إلى أثينا.
٤٣١	بداية الحروب البلوبونيزية بين أثينا واسبرطة.
٤٣٠	السنة الثانية من الحروب البلوبونيزية، انتشار الطاعون فى أثينا. عزل بركليس من منصبه، ثم اعادة تعيينه بعد عام. هيرودوت يتم كتابة تاريخه.
٤٢٩	موت بركليس.
٤٢٥	السنة السابعة للحرب. أثينا ترفض عرض اسبرطة للصلح.
٤٢١	السنة الحادية عشرة للحرب. صلح نيكياس.
٤٠٦	السنة السادسة والعشرون من الحرب. موت الشاعران الدراميان سوفوكليس ويوريبديس
٤٠٤-٤٠٥	السنة السابعة والعشرون من الحرب.هزيمة أثينا فى موقعة ايجوسبوتامي، حصار أثينا ثم استسلامها وهدم اسوارها. سيطرة اسبرطة على اليونان حتي عام ٣٧١ق.م.
٣٩٩	ادانة سقراط واعدامه في مطلع القرن الرابع.
٣٧٧-٣٧٨	اعادة تكوين حلف ديلوس الأثيني مرة أخرى.
٣٦٢-٣٧١	سيطرة طيبة علي بلاد اليونان.
٣٥٩	فيليب المقدوني يتولي العرش.
٣٥٤	مولد الاسكندر المقدوني.
٣٤٠	الحرب بين أثينا ومقدونيا.
٣٣٨	هزيمة اليونانيين فى موقعة خايرونيا. سيطرة مقدونيا على بلاد اليونان.

٣٣٦	اغتيال فيليب المقدوني وتولى الاسكندر عرش مقدونيا.
٣٣٥	الاسكندر الاكبر يقضي على ثورة المدن اليونانية ضد مقدونيا.
٣٣٤	بدء حملة الاسكندر على الشرق.
٣٣٢	الاسكندر في مصر. تأسيس الاسكندرية.
٣٢٣	موت الاسكندر في بابل.

(٤) عن كتاب د. حسين الشيخ- اليونان.